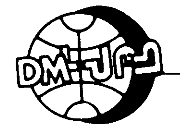

أخلاق العلماء

الطبعة الأولى

١٤١١هـ - ١٩٩١م

الطبعة الثانية

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م



الدار المصرية اللبنانية

طباعة • نشر • توزيع

١٦ شارع عبدالخالق ثروت - تليفون ٣٩٢٣٥٢٥ - ٣٩٣٦٧٤٣ - فاكس: ٣٩٠٩٦١٨ - برقياً: دار شادو - ص.ب: ٢٠٢٢ - القاهرة

AL-DAR AL-MASRIAH AL-LUBNANIAH PRINTING — PUBLISHING — DISTRIBUTION

16 ABD EL KHALEK SARWAT St. P.O.Box 2022-Cairo-Egypt PHONE: 3936743-3923525 FAX: 3909618 CABLE DARSHADO



تأليف

أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري

المتوفى سنة ٣٦٠ هـ

تقديم وتحقيق

الدكتور

أحمد عبد الرحيم السايح

الناشر

الدار المصرية اللبنانية

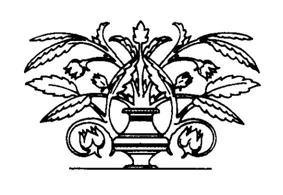
بسم الله الرحمن الرحيم

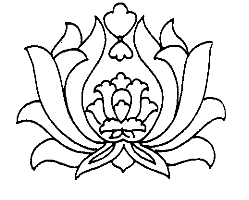
قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾

صدق الله العظيم

(سورة فاطر آية ٢٨)





مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الذى جعل العلماء فى كل زمان ومكان سادة ، يردون الناس إلى الله ، ويدعون إليه ، ويبعدون الناس عن الفسوق ، ويتولون الحق .

والصلاة والسلام على رسول الله ، المرسل رحمة وهداية للناس أجمعين ، قدوة أهل الحق ، ورواد المعرفة .

أما بعد

فإن العلماء لهم فى كل جيل دور كبير ، يرشدون الجاهل ، ويردون الضال ، وينطقون بالحق ، ويواجهون التحديات بالعلم والمعرفة ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾[1] . وهذا -كما يقول الأستاذ مصطفى عمارة فى مقدمة الترغيب والترهيب - إشارة إلى أن العلماء ورثة الأنبياء ، فى توضيح المبهم ، وإضاءة الحكم فى كشف حكم الله - جل وعلا - ودعوة الناس إلى الاستظلال بظلهم الوارف .

قال تعالى :﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾[2] .

---

(١) من الآية : ٨٣ من سورة النساء .

(٢) من الآية : ٤٩ من سورة العنكبوت .

أى : العلماء الذين كمل دينهم ، وتم عقلهم ، فتحلوا بالمكارم جمعاء ، واتصفوا بالمحامد عامتها ، وفيهم يقول الله - جل شأنه -: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ * ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ * وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ * وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ * جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[1].

وقد وصف الله العلماء أصحاب العقول الكاملة التى استخدموها فى مرضاة ربهم بصفات هى عنوان الإخلاص ، وشمس القبول ، ودليل التوفيق :

١ - الوفاء بالعهد ، وعدم نقض الميثاق بإطاعة أوامر الله ، واجتناب نواهيه ، وإرشاد الخلق إلى ذلك ، لأنهم قدوة حسنة .

٢ - صلة جميع الأقارب ، وموالاة المؤمنين ، ومودة الصالحين ، ومحبة

---

(١) الآيات : ١٩ - ٢٤ من سورة الرعد .

العاملين ، وعدم هجرانهم .
٣ - خوف الله - تعالى - وخشيته ، فلا شر يقع منهم ولا أذى لمخلوق ، ولاترك واجب ، ولافعل معصية . ولهذا قيل : « رأس الحكمة مخافة الله » .
٤ - الخوف من الحساب يوم القيامة فيجتهد العالم فى العمل الصالح وتطهير صحائفه لينقى وينجو من الشدائد .
٥ - الصبر وهو حبس النفس على المكروه ، وإيجاد العزيمة على احتمال المشاق فى أعمال الخير .
٦ - إقامة الصلاة فى أوقاتها ، تامة الأركان والشروط ، ويأمر أهله بها ، ويصطبر عليها .
٧ - التصدق بالمال فى السر والجهر ، ليدل على سماحة النفس وطهارتها .
٨ - مقابلة السيئة بالحسنة لوقف الشرور ، وخجل المسىء والبرهان على سعة الصبر ، وطهارة القلب .

هؤلاء هم العلماء الذين أكرموا أنفسهم بالعلم والعمل به ، والأمة الإسلامية فى أشد الحاجة إلى هؤلاء العلماء الذين اتصفوا بالصفات المذكورة ؛ لأن هذه الصفات مؤهلات عليا تؤهل للوصول بالمجتمع إلى أقوم السبل .

وكتاب « أخلاق العلماء » للآجرى من الكتب النفيسة التى يحسن بنا أن نطالعها ، وننعم النظر فيها ، لنتعرف على أخلاق العلماء العاملين ، وسمات أهل الإصلاح الذين يبذلون ما فى وسعهم ، لنشر المعرفة ، وتوعية الناس بما يأخذ بهم إلى الرقى .

❋ ❋ ❋



الآجــرى

الآجرى صاحب كتاب « أخلاق العلماء » هو أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجرى ، الفقيه الشافعى ترجم له ، وكتب عنه :

- الخطيب البغدادى فى [تاريخ بغداد] .
- وابن خلكان فى : « وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان » .
- والحافظ الذهبى فى : « تذكرة الحفاظ » و« العلو للعلى الغفار » . و« العبر فى خبر من غبر » .
- والحافظ ابن كثير فى : « البداية والنهاية » .
- وجمال أبو المحاسن فى : « النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة » .
- وابن العماد فى : « شذرات الذهب » .
- والتاج ابن السبكى فى : « طبقات الشافعية » .
- وياقوت الحموى فى : « معجم البلدان » .

وقال عنه العلماء : « هو الفقيه المحدث ، صاحب كتاب الأربعين حديثا ، وهو مشهور به ، وكان صالحا عابداً ، ثقة ، صدوقا ، ديِّنا ، عالما ، عاملاً ، فقيها ، إماماً ، ورعاً ، محدثا أثريا ، قدوة ، صاحب سنة واتباع ، وصاحب مصنفات ، حسن التصانيف ، حافظا ، زاهدا ، ضابطا » .

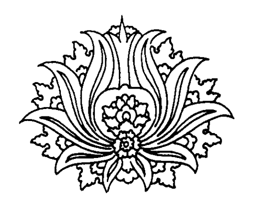
أرأيت : أنه حافظ ومحدث وإمام له مصنفات كثيرة تزيد على عشرين كتابا فى الأخلاق ، والفقه ، والأدب ، والحديث . وما جرى مجرى ذلك مما يدل على علمه الواسع ، وفقهه الغزير .

أما كتاب « أخلاق العلماء » فإنه من الكتب التى تنطلق مما ينبغى أن يكون .. وقد أثنى كثير من العلماء على كتاب « أخلاق العلماء » منهم الحافظ الإمام ابن رجب حيث قال : « قد صنف أبو بكر الآجرى وكان من العلماء الربانيين فى أوائل المائة الرابعة تصنيفا فى أخلاق العلماء وآدابهم وهو من أجل ما صنف فى ذلك ، ومن تأمله علم طريقة السلف من العلماء ، والطرائق التى حدثت بعدهم المخالفة لطريقتهم » ..

يقول العلماء : إن أبا بكر محمد بن الحسين بن عبد الله نسب إلى قرية من قرى بغداد يقال لها « آجر » . وقد حدث ببغداد قبل سنة ثلاثين وثلاثمائة ، ثم انتقل إلى مكة المكرمة فسكنها ، ويروى أنه لما دخل مكة حرسها الله – تعالى – أعجبته . فقال : اللهم ارزقنى الإقامة بها سنة ، فسمع هاتفا يقول له : بل ثلاثين سنة . فعاش بعد ذلك ثلاثين سنة ، ثم مات بها فى المحرم سنة ستين وثلاثمائة رحمه الله رحمة واسعة . وأسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب .

الدكتور / أحمد عبد الرحيم السايح





أضواء حول الأخلاق

الأخلاق : جمع خُلُق – بضم الخاء واللام – كعنق وأعناق ، أو بضم فسكون كصلب ، وأصلاب . ولاتكسر على غير ذلك .. بمعنى أنها ليست من الكلمات التى تكسر على صور مختلفة ، ككلمة « جمل » مثلا فإنها تجمع جمع تكسير على أجمال ، وجمال ، وجمل ، وجمالة ، وجمالات وأجامل ، وجمائل وجامل[1] .

والخلُق – بضم اللام – والخلْق – بسكون اللام – فى لسان العرب : السجية ، يقال : خلق المؤمن ، وخلق الفاجر ، وفى الحديث : « **ليس شىء فى الميزان أثقل من حسن الخلق** » . والخلق – بضم اللام وسكونها – هو الدين والطبع والسجية . وحقيقته : أنه صورة الإنسان الباطنة ، وهى نفسه ، وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها ولها أوصاف حسنة وقبيحة ، والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة[2] .

وفى معجم ألفاظ القرآن الكريم أن الخلق – بضم الخاء واللام – السجية والطبع وما يجرى عليه المرء من عادة لازمة[3] .

---

(١) الدكتور منصور رجب (**تأملات فى فلسفة الأخلاق**) ص ١٢ ط ٣ سنة ١٩٦١ القاهرة .

(٢) ابن منظور (**لسان العرب**) المجلد الثانى ص١٢٤٥ ط دار المعارف بمصر .

(٣) مجمع اللغة العربية . **معجم ألفاظ القرآن الكريم** ج١ ص٣٦١ ، ط لجنة التراث للجميع ، القاهرة .

وقد تكررت الأحاديث فى مدح حسن الخلق فى غير موضع كقوله : « **مِنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ تَقْوى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ** » . وقوله : « **أَكْمَلُ الْمُؤْمِنينَ إيماناً أَحْسَنُهُم خُلُقاً** » . وقوله : « **إنَّ الْعَبْدَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِم** » وقوله : « **بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخلاَقِ** » . وكذلك جاءت فى ذم سوء الخلق أيضا أحاديث كثيرة . وفى حديث عائشة - رضى الله عنها - : « **كَانَ خُلُقَهُ الْقُرْآنَ** » أى : كان متمسكا به وبآدابه وأوامره ونواهيه وما يشتمل عليه من المكارم والمحاسن والألطاف . وفى حديث عمر : « **مَنْ تَخَلَّقَ لِلنَّاسِ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ مِن نَفْسِهِ شَانَهُ الَّلهُ** » أى : تكلف أن يظهر من خلقه خلاف ماينطوى عليه ، مثل : تصنع وتجمل إذا أظهر الصنيع والجميل ، وتخلق بخلق كذا : استعمله من غير أن يكون مخلوقا فى فطرته . وقوله : « تخلق مثل تجمل أى : أظهر جمالا وتصنع وتحسن » إنما تأويله الإظهار ، وفلان يتخلق بغير خلقه أى : يتكلفه . قال سالم بن وابصة :

يا أيها المتحلى غير شيمتــه ... إن التخلق يأتى دونه الخلق

أراد بغير شيمته . فحذف وأوصل[1] .

وإذا كان ابن منظور قد ذكر أن الخلق (بضم اللام وسكونها) هو الدين والطبع والسجية فهل هناك فرق بين مدلول الطبع ومدلول السجية أم هما من الألفاظ المترادفة ؟

يرى كثير من علماء البحث والدراسة : أن هناك فرقا بين المدلولين وهو أن الطبع يطلق على الخلق الفطرى . فالطبع (بسكون الباء) هو الجبلة

(١) ابن منظور (**لسان العرب**) المجلد الثانى ص١٢٤٥ ط دار المعارف ، مصر .

التى خلق الإنسان عليها . والسجية : تطلق على الخلق الفطرى والمكتسب إذا أصبح عادة ، ومما يؤيد ذلك قول حسان بن ثابت :

سجية تلك فيهم غير محدثة   إن الخلائق فاعلم شرها البدع

فالسجية قد تكون صحيحة وقد تكون غير صحيحة[1] .

ويقتضينا البحث اللغوى أن نعرف معنى كلمة « خلق »-بفتح الخاء وسكون اللام – لنصل إلى الارتباط القائم بين الخلق – بفتح الخاء وسكون اللام – وبين الخلق – بضم الخاء واللام .

فالخلق – بفتح الخاء وسكون اللام – : التقدير[2] . يقال : خلق الأديم يخلقه خلقا : قدره لما يريد قبل القطع ، وقاسه ليقطع منه مزادة أو قربة ، أو خفا . قال زهير من قصيدة يمدح هرم بن سنان :

ولأنت تفرى ما خلقت وبعـ   ـض القوم يخلق ثم لايفرى[3]

يقول : أنت إذا قدرت أمراً قطعته ، وأمضيته ، وغيرك يقدر مالا يقطعه لأنه ليس بماضى العزم وأنت مضاء على ماعزمت عليه[4] .

ويقال : الخلق : التقدير المستقيم فى إبداع الشىء من غير أصل ولا احتذاء قال تعالى : ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[5] أى : أبدعها

(١) الدكتور منصور رجب ، **تأملات فى فلسفة الأخلاق** ، ص١٣ الطبعة الثالثة .
(٢) الفيروز آبادى ، **بصائر ذوى التمييز** ، ج٢ ص٥٦٦ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
(٣) زهير بن أبى سلمى ، **الديوان** ، شرح ثعلب ص٩٤ الطبعة الأولى .
(٤) ابن منظور ، **لسان العرب** ، الجزء الثانى ص١٢٤٥ ط دار المعارف بمصر .
(٥) سورة النحل ، الآية رقم ٣ والعبارة وردت فى آيات أخرى .

بدلالة قوله : ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1] .. ويستعمل فى إيجاد الشىء من الشىء . قال تعالى : ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾[2] .. وليس الخلق بمعنى الإبداع إلا لله تعالى .. ولهذا قال – تعالى – فى الفصل بينه وبين غيره : ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾[3] وأما الذى يكون بالاستحالة فقد جعله الله لغيره فى بعض الأحوال كعيسى – عليه السلام – حيث قال : ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾[4] والخلق لايستعمل فى جميع الناس إلا على وجهين :

أحدهما : فى معنى التقدير كما ذكرنا من قول زهير ، وثانيهما : فى الكذب نحو قوله تعالى : ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾[5] .

وكل موضع استعمل فيه الخلق فى وصف الكلام فالمراد به الكذب ، ومن هذا الوجه امتنع كثير من الناس من إطلاق لفظ الخلق على القرآن وعلى هذا قوله :﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[6] وقوله : ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾[7] .

---

(١) سورة البقرة ، الآية رقم ١١٧ وسورة الأنعام ، الآية رقم ١٠١ .

(٢) سورة الزمر الآية رقم ٦ .

(٣) سورة النحل ، الآية رقم ١٧ .

(٤) سورة المائدة ، الآية رقم ١١٠ .

(٥) سورة العنكبوت ، الآية رقم ١٧ .

(٦)) سورة الشعراء الآية رقم ١٣٧ ، وخلق – بفتح الخاء وسكون اللام – قراءة صحيحة – والقراءة الأخرى – خلق – بضم الخاء واللام – وهى قراءة نافع وابن عامر وعاصم وحمزة وخلف . هامش بصائر ذوى التمييز ج٢ ص٥٦٧ .

(٧) سورة صٓ : الآية رقم : ٧ .

والخلق فى معنى المخلوق . والْخُلُقُ والْخَلْقُ فى الأصل واحد[1] فالخلق - بالضم - ذو علاقة وثيقة بمعنى الخلق - بالفتح - وذلك لأنه فى أصله مصاحب لأصل الخلقة يوجد مع المخلوق بوجوده ، ثم يأخذ فى النمو والتطور وفقا لنمو صاحبه وتطوره ، فكل استقامة فى سلوك المخلوق وفق السنن الصحيح تصاحبها استقامة الخلق نفسه ، وكل انحراف أو فساد فى ذلك السلوك مؤد إلى مثله فى الخلق والتصوير ، وما أدق إشارة المتنبى إلى ذلك فى قوله :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق مايعتاده من توهـم

كذلك نجد الصلة بين الخلق والخلق من حيث التقدير الغائى فوجود الخلق فى الكائن البشرى يستهدف أصلا تزويده بالنظام الذى يعينه على معرفة الخير والأحسن ومايقابلهما[2] .

وإذا كان الخلق - بضم الخاء واللام - والخلق - بفتح الخاء وسكون اللام - أصلهما واحد فقد خص الخلق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر ، وخص الخلق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة[3] .

قال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[4] قال ابن عباس - رضى الله عنهما - : لعلى دين عظيم لادين أحب إلَىَّ ولا أرضى عندى منه وهو دين الإسلام . وفى الصحيحين أن هشام بن حكيم سأل

---

(١) الفيروزآبادى ، **بصائر ذوى التمييز** ج٢ ص٥٦٧ ط المجلس الأعلى بالقاهرة .

(٢) الشيخ محمد المجذوب (**الأخلاق بين الفلسفة والإسلام**) ص٣٢١ ندوة المحاضرات مكة المكرمة ، السعودية .

(٣) الفيروزآبادى (**بصائر ذوى التمييز**) ج٢ ص٥٦٧ ط المجلس الأعلى بالقاهرة .

(٤) سورة القلم ، الآية رقم ٤ .

عائشة عن خلق رسول الله ﷺ ، فقالت : « **كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ** »[1] .

فالأخلاق بمعنى الدين عبارة عن نظام من العمل غايته تحقيق الحياة الخيرة الطيبة ، ونمط من السلوك مع النفس والغير ، من حيث مايجب أن يكون عليه هذا السلوك . كما أنها ليست جزءاً من الدين فحسب بل جوهره وروحه ، لأن الدين فى مضمونه عبارة عن الواجبات التى يلتزم بها الإنسان نحو الله ونحو نفسه وغيره من المخلوقات .

والأخلاق عند القدماء : ملكة تصدر بها الأفعال عن النفس من غير تعلم وفكر وتكلف ، فغير الراسخ من صفات النفس لايكون خلقا ، كغضب الحكيم ، وكذلك الراسخ الذى تصدر عنه الأفعال بعسر وتأمل ، كالبخيل إذا حاول الكرم .

وقد يطلق لفظ الأخلاق على جميع الأفعال الصادرة عن النفس محمودة كانت أو مذمومة فتقول : فلان كريم الأخلاق أو سيء الأخلاق ، وإذا أطلق على الأفعال المحمودة فقد دل على الأدب لأن الأدب لايطلق إلا على المحمود من الخصال[2] .

ويرى العلماء المعاصرون أن الأخلاق فى أوجز تعريف هى : « قوة ذاتية نحس أثرها فى ترغيبنا بشيء وتنفيرنا من ضده فهى إذا طبيعية متأصلة فى فطرة الإنسان ، وظيفتها إصدار الأحكام على الأعمال والأشياء بالحسن أو القبح والخير أو الشر والفضيلة أو الرذيلة ، وهى من حيث كونها

---

(١) ورد فى الجامع الصغير عن مسند ابن حنبل ، ومسلم ، وأبى داود .

(٢) الدكتور جميل صليبا ، **المعجم الفلسفى** ، الجزء الأول ص٤٩ ط دار الكتاب اللبنانى .

مصدرا واحدا خفيا لهذه الأحكام تسمى « الضمير » ومن حيث آثارها المتعددة ومظاهرها المتكاثرة تسمى « الأخلاق »[1] .

وإن الإنسان ، كل إنسان ، وفى كل عصر من العصور ، يعيش حياة اجتماعية ، والحياة الاجتماعية تقوم على التعامل والسلوك مع الآخرين ، ومثل هذا التعاون أوجب وجود قواعد وأنماط للسلوك ترضى عنها المجتمعات وتقاليدها وأصولها الاعتقادية أو تنفر منها .

وقد احتاج هذا التعامل إلى التمييز بين الحسن والسيء ، وبين الفاسد والصالح ، وبين النافع والضار ، كما احتاج إلى إصدار الأحكام على تصرفات الإنسان بالخير والشر ، والحسن والسوء ، بالصلاح والفساد .

وموضوع الخير والشر ، والحسن والقبح ، والسلوك الخطأ والصواب شغل أذهان جميع المفكرين والفلاسفة والمصلحين فى مختلف أدوار الإنسانية ، فقد أراد الإنسان منذ وجد أن يقوم سلوكه ويحكم عليه حكما أخلاقيا ، وسواء كان التقويم مدحا أو ثوابا ذما أو عقابا ، فإن عملية التقويم تبدو ضرورية لكل فعل بشرى مهما كانت حقيقته[2] .

والدين الإسلامى قد فصل الكلام فى المسائل الأخلاقية الرئيسية التى تناولها القدامى والمحدثون من الأصل الأخلاقى للسلوك الإنسانى والبواعث

(١) فضيلة الشيخ محمد المجذوب . **الأخلاق بين الفلسفة والإسلام** ص٣٢١ ، ندوة المحاضرات ، مكة المكرمة .

(٢) الدكتور عبد الكريم عثمان ، **معالم الثقافة الإسلامية** ص٢٨٢ الطبعة الثالثة بالسعودية .

الخلقية . والحكم الأخلاقى والغاية من الفعل الخلقى ونسبية الأخلاق وإطلاقها[1] .

(١) فأصل الشعور الأخلاقى أو بمعنى آخر كيف نعرف أن عملا من الأعمال أخلاقى وآخر غير أخلاقى ؟ هناك رأيان :

أحدهما يقول بأن مصدر هذا الشعور غريزة فى الإنسان ، سابقة على تجربة تبدأ متكاملة وترسخها التربية ولكنها ليست نتيجة مباشرة لها .

والآخر يرى بأن معرفة الخير والشر تعتمد على التجربة وتنمو بتقدم الزمان ورقى الفكر .

والذى ينسجم مع نظرة الإسلام الأخلاقية أن هذا الشعور فطرى فطره الله عليه قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[2] . وهذا الشعور يحمل الإنسان على حب بعض الصفات وكراهة أخرى ، وهو وإن كان متفاوتا وعلى أقدار متنوعة فى مختلف أنواع البشر إلا أن الشعور العام بقطع النظر عن الأفراد لايزال يحكم على بعض السجايا الخلقية بالحسن وعلى بعضها بالقبح فى كل زمان[3] .

(٢) والباعث الباطنى النفسى الذى يحمل على إطاعة مايمليه الشعور الأخلاقى والذى يدفع إلى القيام بأنواع من السلوك دون أخرى ، لاشك

---

(١) الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى . **التربية الإسلامية** ص١٠٠ ط عيسى البابى الحلبى مصر . والدكتور عبد الكريم عثمان . **معالم الثقافة الإسلامية** ص٢٨٥ ط ٣ . السعودية .

(٢) سورة الشمس ، الآيات ٧ – ١٠ .

(٣) الدكتور عبد الكريم عثمان **معالم الثقافة الإسلامية** ص٢٨٣ السعودية الطبعة الثالثة .

أن هذا الباعث يتعلق بالغايات والأغراض التى يهدف إليها الإنسان ، فالإنسان هو الكائن الوحيد الذى يقوم بأعمال اختيارية ، والمفروض أنه يفكر بالغرض من عمله قبل أن يشرع فيه ، ثم يفتش عن الوسيلة المناسبة لتحقيق هذا الغرض ، وتختلف الأغراض عند الناس باختلاف تكوينهم العقائدى والفكرى كما تختلف حسب أعمالهم وظروفهم .

(٣) ويتعلق بالباعث معرفة الأهداف أو النتائج الأخيرة التى يحاول الإنسان الوصول إليها بأعماله الأخلاقية ، إن هذه الأهداف تشكل محورا تدور حوله الأغراض الفريدة وتتلون فإذا كان هدف الإنسان فى حياته تحقيق مجده الشخصى دارت أغراضه جميعا حول هذا الهدف ، واصطبغ سلوكه به فهو لاينظر إلى الحوادث وبالتالى لايكيف موقفه إلا بحسبها .

كذلك الذى يهدف إلى تحقيق مثل أعلى كإرضاء الله - تعالى - وتحقيق الخير العام فإنه لاينظر إلى الأمور إلا بهذا المنظار ، ومن هنا كان إلحاح الإسلام على الأهداف السامية التى تربط سلوك الإنسان بهدف أعلى يتسامى إليه ويعمل جاهدا لتحقيقه .

(٤) والمقياس الذى نقيس به أعمالنا لنحكم عليها بالصلاح أو الفساد بالخير أو الشر ، أو بمعنى آخر : القانون الأخلاق وماله من قوة ملزمة تحمل الإرادة على العمل بموجبه . قال العقليون : إن هذا القانون فى أنفسنا بالضمير ذاتى ينبع من داخل الإنسان ، فهو فطرى لامكتسب ولامتطور . وقال التطوريون والاجتماعيون : إن هذا القانون يتكون من مصادر خارجية : منها المعتقدات الدينية ، ومنها ما تواضع عليه الناس من أحكام ثم أجبروا عليها بالمعادلة فصارت أعرافا وعادات ، فالخوف من الله

والخوف من المجتمع هو الذى يشكل القانون الأخلاقى الذى نزن به أمورنا .

والإسلام يجعل مقياس كل حكم وميزان كل سلوك هو القواعد الأخلاقية التى جاء بها الرسول - عليه الصلاة والسلام - فقد أرسله الله - كما بعث كل رسول - وأنزل معه الكتاب لهداية الإنسان وإرشاده إلى طريق الخير والسعادة[1] .

(٥) نسبية الأخلاق وإطلاقها ، وقد اختلف الناس ولايزالون مختلفين فيما هو الحسن والسيء ، وفيما إذا كان بالإمكان أن نطلق أحكاماً عامة فى الحسن والقبح فى الخير والشر .. وبعبارة أخرى هل نستطيع أن نقول بخير مطلق أو شر مطلق يندرج حكمهما على جميع الأزمان والظروف ، أم أننا أمام أحكام نسبية ؟ بمعنى أن ماهو شر فى مكان أو زمان خير فى مكان أو زمان آخرين والعكس ؟ لقد وجد بين المفكرين القدماء من قال بالقيم العامة المطلقة ، ووجد منهم من قال بعكس ذلك . ولعل أفلاطون من فلاسفة اليونان من أوائل الذين قالوا بالخير والشر المطلقين .

وقد أدلى المفكرون المسلمون بدلوهم فى هذا الموضوع واختلفوا فيه كما اختلف غيرهم ، إلا أنهم تميزوا عن الآخرين فى الأساس الذى قامت عليه نظرتهم له ، فقد جعلوا هذا الأساس متصلا بالعناية الإلهية من خلال صلتها بالعالم وبالمكلفين ، أما فى العصر الحديث فقد استمر النقاش حول هذا الموضوع وأصبح يدرس من خلال نظرية القيم التى يتناول الأخلاقيون من خلالها عامة قيم الأشياء من خير أو شر وجمال أو قبح .

---

(١) المصدر السابق ص٢٨٤ .

والنظرة الإسلامية إلى نسبية الأخلاق وإطلاقها تؤكد إطلاق الأخلاق وعموميتها ، فالصدق ، والأمانة ، والعدالة ، والوفاء بالعهد مثلا كل ذلك مما عدته الإنسانية من الصفات الخلقية الجديرة بالثناء والمدح ، ولم يأت على الإنسانية وقت استحسنت فيه الكذب ، والظلم ، والخيانة ، وكذلك أمر المجتمعات فما عرفت الإنسانية مجتمعا يستحق الاحترام إلا المجتمع الذى يتمتع بحسن الإدارة ، وجودة النظام ، والتناصح ، والتكافل والعدالة ، ولا هى نظرت بعين الإعجاب إلى مجتمع خيمت عليه أخلاق الفوضى والتباغض ، والتنافر ، والتحاسد ، والتفاضل بين أفراد البشر .. والأخلاق نظرية وعملية ، ولم ينص الإسلام على أخلاق نظرية منفصلة يتبعها السلوك العملى ويستمد قوته من تلك النظريات المقررة ، وإنما رسم للناس قواعد العمل الصالح الذى ينبغى أن يسيروا عليه . والقرآن زاخر بهذه القواعد العملية التى تتناول أغلب أحوال الناس فى معاشهم وفى صلاتهم بغيرهم من الناس ومعاملتهم بعضهم بعضا[1] ..

والأخلاق من الأمور المعيارية التى تبسط للناس مثلا عليا ينبغى اتباعها ، وتختلف عما يكون عليه الإنسان فى الواقع[2] .

والنظام الأخلاقى فى الإسلام ينبثق من تصوره للكون والوجود ، ويعتمد هذا التصور على أن لهذا الكون إلها وأنه لا إله غيره خلق الكون وأوجده ، وهذا الكون يسير بانتظام مذعنا لأمر الله ومشيئته ، والإنسان جزء من هذا الكون خلقه الله بطبيعة متميزة لعبادته والانقياد لأمره ،

---

(١) الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى ، **التربية فى الإسلام** ، ص١٠٣ ط عيسى البابى الحلبى .

(٢) المصدر السابق ص١٠١ .

ولامعنى لحياته إلا أن تكون كلها خالصة العبودية لله .. فالغاية البعيدة من مجهودات الإنسان ومساعيه فى الدنيا هى ابتغاء وجه الله - تعالى - ونيل رضاه ، وهذا هو المقياس الذى يقاس به فى الإسلام كل عمل من أعمال الإنسان ، ويحكم عليه بالخير أو الشر[١] فى مقابل مقاييس اللذة أو المصلحة أو السعادة أو غيرها ..

وقد أنعم الإسلام على الإنسان بهذا المقياس وزوده بمرجع دائم لمعرفة الحسن أو القبح الخلقى ، وهذا المرجع ثابت دائم لايحصر علمنا بالأخلاق على العقل أو التجارب أو العلوم الإنسانية حتى تتغير أحكامنا باستمرار ، وليس هذا المرجع إلا كتاب الله وسنة رسوله ، ففيهما خطة كاملة لكل شئون الحياة وانطباق متسع لأصول الأخلاق على شئون الحياة المختلفة[٢] .

ونظام الأخلاق فى الإسلام يقوم على خصائص ثلاث ، هى :

(١) أن الإسلام يجعل ابتغاء وجه الله ونيل رضاه غاية منشودة فى الحياة الإنسانية ، ويجعل بذلك مقياساً سامياً للأخلاق لايقوم معه فى وجه الارتقاء الخلقى شيء يفوقه عن الارتقاء والتقدم ، ويهيء للأخلاق من خشية الله - تعالى - قوة تحث الإنسان على القيام من غير أن تكون فيها يد لعامل من العوامل الخارجية .

(٢) أنه لايوجد بهذا التحريض والترغيب أخلاقا مبتكرة ولايحاول حط بعض الأخلاق الإنسانية المعروفة « **إنما بعثت لأتمم مكارم**

---

(١) المودودى « **نظام الحياة فى الإسلام** » ص١٤ .

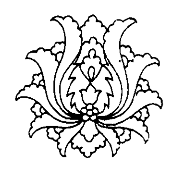
(٢) الدكتور عبد الكريم عثمان ، **معالم الثقافة الإسلامية** ص٢٨٨ الطبعة الثالثة السعودية .

الأخلاق » ولكنه يريد أن يجعل الأخلاق مسيطرة فى جميع نواحى الحياة ومهيمنة عليها .

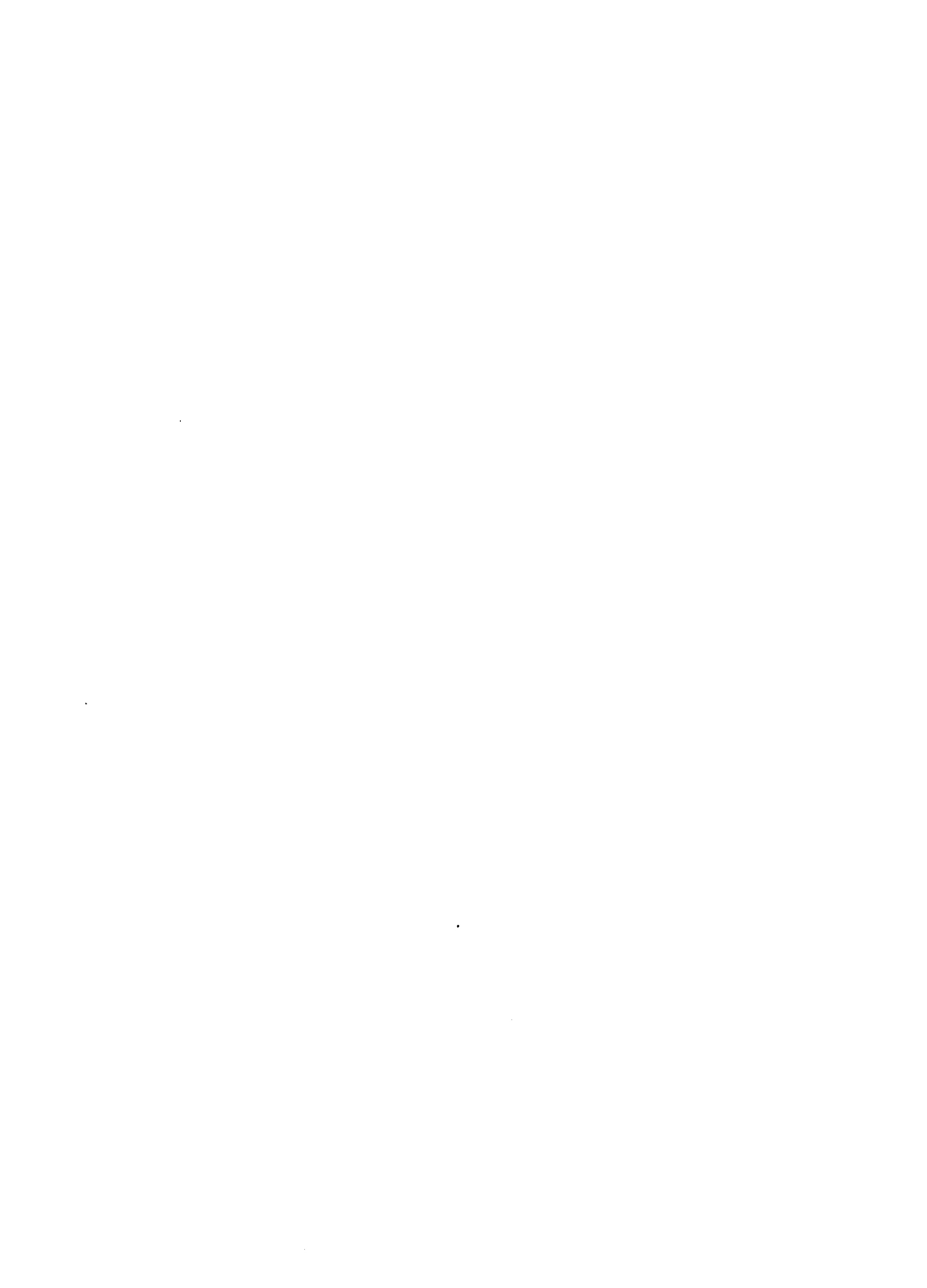
(٣) أنه يطالب الناس ويلتمس منهم إقامة نظام للحياة ينهض بنيانه على المعروف ولايشوبه شيء من المنكر ، ويدعوهم إلى أن يقيموا الخيرات فى كل زمان ومكان ، وأن يشيعوا إقامة هذه الخيرات فى العالم ، وهذه هى مهمة المجتمع الإسلامى والأمة الإسلامية .

إن القيم الإسلامية تحقق وظائف عدة : ففيما يتعلق بالفرد تحاول هذه القيم رفعه فوق مرتبته الراهنة وتعمل على العلو به عن المستوى الحيوانى الذى يقتصر على الماديات من طعام وشراب إلى المستوى اللائق بكرامة الإنسان وتقدمه ورقيه ، وفيما يتعلق بالمجتمع فإنها تحقق أعظم عامل للربط بين أفراده والسمو بالجماعة من المرتبة المادية الحيوانية إلى مرتبة الحضارة والمدنية[١] . وتقيم الصلات بين الأفراد والهيئات على أسس نبيلة كريمة .





(١) الدكتور عبد الكريم عثمان ، **معالم الثقافة الإسلامية** ، ص٢٨٩ الطبعة الثالثة السعودية .

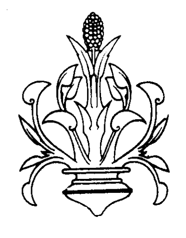




تأليف

أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري

المتوفى ٣٦٠ هـ





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله على سيدنا محمد ، النبى الأمى ، وآله وسلم ، وبالله أستعين ، وحسبى الله ، ونعم الوكيل .

أما بعد :

فإن الله – عز وجل ، وتقدست أسماؤه – اختص من خلقه من أحب ، فهداهم للإيمان ، ثم اختص من سائر المؤمنين من أحب ، فتفضل عليهم ، فعلمهم الكتاب والحكمة ، وفقههم فى الدين ، وعلمهم التأويل ، وفضلهم على سائر المؤمنين ، وذلك فى كل زمان وأوان .

رفعهم بالعلم ، وزينهم بالحلم ، بهم يعرف الحلال من الحرام ، والحق من الباطل ، والضار من النافع ، والحسن من القبيح .

فضلهم عظيم ، وخطرهم جزيل ، ورثة الأنبياء ، وقرة عين الأولياء ، الحيتان فى البحار لهم تستغفر ، والملائكة بأجنحتها لهم تخضع ، والعلماء فى القيامة بعد الأنبياء تشفع ، مجالسهم تفيد الحكمة ، وبأعمالهم ينزجر أهل الغفلة ، هم أفضل من العباد ، وأعلى درجة من الزهاد .

حياتهم غنيمة ، وموتهم مصيبة ، يذكرون الغافل ، ويعلمون الجاهل ، لايتوقع لهم بائقة ، ولايخاف منهم غائلة ، بحسن تأديبهم يتنازع المطيعون ، وبجميل موعظتهم يرجع المقصرون ، جميع الخلق إلى علمهم محتاج ، والصحيح على من خالف بقولهم محجاج ، الطاعة لهم من جميع الخلق واجبة ، والمعصية لهم محرمة ، من أطاعهم رشد ، ومن عصاهم عند .

ما ورد على إمام المسلمين من أمر اشتبه عليه حتى وقف فيه فبقول العلماء يعمل ، وعن رأيهم يصدر .

وما ورد على أمراء المسلمين من حكم لا علم لهم به فبقولهم يعملون ، وعن رأيهم يصدرون .

وما أشكل على قضاة المسلمين من حكم فبقول العلماء يحكمون ، وعليه يعولون .

فهم سراج العباد ومنار البلاد وقوام الأمة ، وينابيع الحكمة ، هم غيظ الشيطان ، بهم تحيا قلوب أهل الحق ، وتموت قلوب أهل الزيغ ، مثلهم فى الأرض كمثل النجوم فى السماء ، يهتدى بها فى ظلمات البر والبحر ، إذا انطمست النجوم تحيروا ، وإذا أسفر عنها الظلام أبصروا .

فإن قال قائل : مادل على ماقلت ؟

قيل له : الكتاب ، ثم السنة .

فإن قال : فاذكر منه ما إذا سمعه المؤمن سارع فى طلب العلم ، ورغب فيما رغبه الله – عز وجل – ورسوله ﷺ .

قيل له : أما دليل القرآن فإن الله – عز وجل – قال :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[1] فوعد الله – عز

(١) سورة المجادلة . الآية رقم ١١ .

وجل – المؤمنين أن يرفعهم ، ثم خص العلماء منهم بفضل الدرجات .

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[1] فأعلم خلقه أنه يخشاه العلماء به .

وقال عز وجل : ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾[2] .

وقال عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَـٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ﴾[3] .

وقال عز وجل : ﴿ وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾[4] .

وقال عز وجل : ﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ ﴾[5] الآية يقال : فقهاؤهم وعلماؤهم .

وقال عز وجل : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[6] .

---

(١) سورة فاطر . الآية رقم ٢٨ .
(٢) سورة البقرة . الآية رقم ٢٦٩ .
(٣) سورة لقمان . الآية رقم ١٢ .
(٤) سورة آل عمران . الآية رقم ٨٩ .
(٥) سورة المائدة . الآية رقم ٦٣ .
(٦) سورة السجدة . الآية رقم ٢٤ .

وقال عز وجل : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾ إلى قوله :﴿ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[1] .

قال محمد بن الحسين : وهذا النعت ونحوه فى القرآن يدل على فضل العلماء ، وأن الله – عز وجل – جعلهم أئمة للخلق ، يقتدون بهم .

أخبرنا أبو بكر ، حدثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحرانى ، حدثنا مروان بن عبد الله الرقى ، حدثنا فضيل بن عياض ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قول الله – عز وجل –:﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ﴾ قال: العلم والفقه .

حدثنا أبو بكر ، حدثنا أبو الفضيل جعفر بن محمد الصندلى ، حدثنا الحسن بن محمد الزعفرانى ، حدثنا شبابة ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله:﴿ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ قال : الفقه ، والعقل ، والعلم .

أخبرنا أبو بكر ، حدثنا أبو بكر بن أبى داود ، حدثنا أسيد بن عاصم ، حدثنا الحسين – يعنى ابن حفص الأصبهانى ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله الله – عز وجل –:﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ﴾ قال : العقل ، والفقه ، والإصابة فى القول فى غير نبوة .

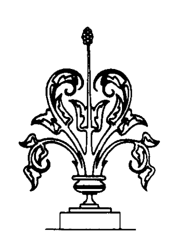
---

(١) سورة الفرقان . الآيات رقم ٦٣ – ٧٤ .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا إبراهيم بن موسى الجردى ، أخبرنا يوسف بن موسى ، أخبرنا وكيع ، أخبرنا على بن صالح ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر بن عبد الله فى قول الله – عز وجل – : ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ قال : أولو الفقه والخير .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو العباس أحمد بن سهل الأشنانى ، أخبرنا الحسين بن الأسود العجلى ، أخبرنا يحيى بن آدم ، أخبرنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد فى قول الله – عز وجل – : ﴿ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ قال : الفقهاء والعلماء . قال : وحدثنا يحيى بن آدم ، أخبرنا الفضل بن مهلهل ، عن مغيرة ، عن إبراهيم مثله[1] .





(١) راجع الخطيب **الفقيه والمتفقه** جـ١ ص٢٧ ، ٢٨ فى تأويل قول الله تعالى : ﴿ **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم** ﴾ .

باب ذكر ماجاءت به السنن والآثار
من فضل العلماء فى الدنيا والآخرة

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن أبى داود ، أخبرنا أبو طاهر أحمد بن عمرو المصرى ، أخبرنا بشر بن بكر ، عن الأوزاعى ، عن عبد السلام بن سليم ، عن يزيد بن سمرة ، عن كثير بن قيس ، عن أبى الدرداء ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **وَلَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ ، الأنبياء لَمْ يُوَرِّثُوا دِيناراً وَلاَ دِرْهَمًا إنّما وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ** »[1] .

---

(١) رواه أبو داود ، والترمذى ، وابن ماجه ، وابن حبان فى صحيحه ، والبيهقى واللفظ الذى نقله المنذرى فى الترغيب والترهيب عن أبى الدرواء رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، وإن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء ، وفضل العالم على العابد ، كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء . إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما . إنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر** » .

وجاء فى هامش « **المنتقى** » من الترغيب والترهيب جـ١ ص٢٦ ط قطر .

ورواه أيضا أحمد والحاكم وصححه ، وحسنه حمزة الكنانى ، وضعفه غيرهم بالاضطراب فى سنده ، لكن له شواهد يتقوى بها .

ورواه أيضا ابن عبد البر فى **جامع بيان العلم وفضله** جـ١ ص٣٤ .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو العباس أحمد بن موسى بن زنجويه القطان ، أخبرنا هشام بن عمار الدمشقي ، أخبرنا حفص بن عمر عن عثمان بن عطاء عن ابنه ، عن أبي الدرداء ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **« فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ لَهُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا وَلَكِنَّهُم وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ فَقَدْ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ »**(١)..

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو جعفر محمد بن الحسن بن يدينا الدقاق ، أخبرنا هرون بن عبد الله المزار ، أخبرنا يزيد بن هرون ، أنبأنا زيد بن عياض ، عن صفوان بن سليم ، عن سلمان بن يسار ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : **« مَا عُبِدَ اللَّهُ بِشَيءٍ أَفْضَلَ مِن فِقْهٍ فِي دِينٍ ، وَلَفَقِيهٌ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ وَلِكُلِّ شَيءٍ عِمَادٌ وَعِمادُ الدِّينِ الْفِقْه »**(٢) .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر بن أبي داود ، أخبرنا عمرو بن عثمان ، أخبرنا الوليد بن مسلم ، عن روح بن جناح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال : **« فَقِيهٌ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى إِبْلِيسَ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ »** .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا إبراهيم بن الهيثم الناقد ، أخبرنا داود بن رشيد ، أخبرنا الوليد ، عن روح بن جناح ، عن مجاهد قال : بينما نحن وأصحاب ابن عباس خلف المسجد : طاوس وسعيد بن جبير وعكرمة ،

---

(١) الخطيب **الفقيه والمتفقه** جـ١ ص١٧ ط مكتبة أنس بن مالك ١٤٠٠هـ .
(٢) الخطيب **الفقيه والمتفقه** جـ٢ ص٧ .

وابن عباس قائم يصلى ، إذ وقف عليه رجل .

فقال : هل من مفت ؟

فقلنا : سل ، فقال : إنى كلما بلت تبعه الماء الدافق .

قال : قلنا : الذى يكون منه الولد ؟

قال : نعم .

قلنا : عليك الغسل .

قال : فولى الرجل وهو يرجع .

قال : وعجل ابن عباس فى صلاته ثم قال لعكرمة : علىَّ بالرجل ، وأقبل علينا .

فقال : أرأيتم ما أفتيتم به هذا الرجل عن كتاب الله ؟

قلنا : لا . قال : فمن رسول الله ﷺ ؟

قلنا : لا . قال : فمن أصحاب رسول الله ﷺ ؟

قلنا : لا . قال : فعمه ؟ قلنا : عن رأينا .

قال : فقال : فلذلك قال رسول الله ﷺ : « **فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد** » .

قال : وجاء الرجل فأقبل عليه ابن عباس فقال : أرأيت إذا كان ذلك منك أتجد شهوة فى قبلك ؟

قال : لا . قال : فهل تجد خدرا فى جسدك ؟

قال : لا . قال : إنما هذه أبردة يجزيك منها الوضوء .

قال محمد بن الحسين : كيف لايكون العلماء كذلك وقد قال النبى ﷺ : « **مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِى الدِّينِ** »[1] .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله الكشى ، أخبرنا سليمان بن داود الشاذكونى ، أخبرنا عبد الواحد بن زياد ، أخبرنا معمر عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : « **مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِى الدِّينِ** » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا الفريابى ، أخبرنا أبو مسعود المصيصى ، أخبرنا على بن الحسن بن شقيق ، أخبرنا عبد الله بن مبارك ، أخبرنا يونس عن الزهرى ، عن حميد بن عبد الرحمن قال : سمعت معاوية يخطب يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِى الدِّينِ** » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد ، أخبرنا أبو محمد بن زنبور المكى ، أخبرنا إسماعيل بن جعفر ، أخبرنا عبد الله بن سعيد بن أبى هند ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ :

---

(١) رواه البخارى ، ومسلم ، وابن ماجه ، ورواه أبو يعلى ، وزاد فيه :

« **ومن لم يفقهه لم يبال به** » .

انظر : **المنتقى من الترغيب والترهيب** جـ١ ص٢٥ .

ورواه الطبرانى فى الكبير ولفظه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يا أيها الناس إنما العلم بالتعلم ، والفقه بالتفقه . ومن يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين وإنما يخشى الله من عباده العلماء » .

« مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِى الدِّينِ »[1] .

قال محمد بن الحسين : فلما أراد الله – تعالى – بهم خيراً فقههم فى دينه ، وعلمهم الكتاب والحكمة ، وصاروا سراجاً للعباد ومناراً للبلاد .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلوانى ، أخبرنا الهيثم بن خارجة ، أخبرنا رشدين بن سعد ، عن عبد الله بن الوليد النجيبى ، عن أبى حفص حدثه أنه سمع أنس بن مالك يقول : قال النبى : **« إِنَّ مَثَلَ الْعُلَمَاءِ فِى الأَرْضِ كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ يُهْتَدَى بِهَا فِى ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ فَإِذَا انْطَمَسَتِ النُّجُومُ يُوشِكُ أَنْ تَضِلَّ الْهُدَاةُ »**[2] .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد الحميد الواسطى ، أخبرنا زهير بن محمد ، أخبرنا الحسن بن موسى ، أخبرنا حماد بن سلمة ، عن حميد ، عن الحسن ، أن أبا الدرداء قال : **« مَثَلُ الْعُلَمَاءِ فِى النَّاسِ كَمَثَلِ النُّجُومِ فِى السَّمَاءِ يُهْتَدَى بِهَا »** .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر أيضا ، أخبرنا زهير بن محمد ، أنبأنا يعلى بن عبيد ، أخبرنا محمد بن إسحق ، عن عمه موسى بن يسار ، قال : بلغنا أن سلمان الفارسى كتب إلى أبى الدرداء : « **إِنَّ الْعِلْمَ كَالْيَنَابِيعِ يَغْشَى النَّاسَ فَيَخْتَلِجُهُ هَذَا وَهَذَا . فَيَنْفَعُ اللَّهُ بِهِ غَيْرَ وَاحِدٍ ،وَإِنَّ حِكْمَةً لاَ يُتَكَلَّمُ بِهَا كَجَسَدٍ لاَ رُوحَ فِيه وَإِنَّ عِلْماً لاَيَخْرُجُ كَكَنْزٍ لاَيُنْفَقُ ، وَإِنَّما مَثَلُ الْمُعَلِّمِ كَمَثَلِ رَجُلٍ عَمِلَ سِرَاجاً فِى طَرِيقٍ مُظْلِمٍ يَسْتَضِىءُ**

---

(١) ورواه الخطيب **الفقيه والمتفقه** جـ١ ص٧ .

(٢) الخطيب **الفقيه والمتفقه** جـ٢ ص ٧٠

بِهِ مَنْ مَرَّ بِهِ وَكُلٌّ يَدْعُو إِلَى الْخَيْرِ » .

قال محمد بن الحسين : فما ظنكم – رحمكم الله – بطريق فيه آفات كثيرة ، ويحتاج الناس إلى سلوكه ، فى ليلة ظلماء ، فإن لم يكن فيه ضياء ، وإلا تحيروا .

فقيض الله لهم فيه مصابيح تضىء لهم ، فسلكوه على السلامة والعافية .

ثم جاءت طبقات من الناس لابد لهم من السلوك فيه فسلكوا ، فبينما هم كذلك إذ طفئت المصابيح فبقوا فى الظلمة ، فما ظنكم بهم ؟!

هكذا العلماء فى الناس ، لايعلم كثير من الناس كيف أداء الفرائض ولا كيف اجتناب المحارم ، ولا كيف يعبد الله ، فى جميع مايعبده به خلقه ، إلا ببقاء العلماء .

فإذا مات العلماء تحير الناس ، ودرس العلم بموتهم ، وظهر الجهل ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، مصيبة ما أعظمها على المسلمين .

أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطى ، أخبرنا زهير ، أخبرنا سعيد بن سليمان ، أخبرنا عطاء بن محمد الحرانى ، عن بعض أصحابه قال : قال كعب : « عليكم بالعلم قبل أن يذهب ، فإن ذهاب العلم موت أهله ، موت العالم نجم طمس ، موت العالم كسر لايجبر وثلمة لاتسد – بأبى وأمى – العلماء قال : أحسبه قال : قبلتى إذا لقيتهم ، وضالتى إذا لم ألقهم ، لاخير فى الناس إلا بهم .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو أحمد : هرون بن يوسف التاجر ، أخبرنا ابن أبى عمر ، يعنى محمداً العدنى ، أخبرنا سفيان بن عيينة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إِنَّ اللَّهَ-عَزَّ وجَلَّ - لَا يَقبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا إِنَّماَ يُقْبِضُ الْعُلَمَاءُ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤسَاءَ جُهَّالاً فَسئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا** »[1] ..

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر بن أبى داود ، أخبرنا أحمد بن صالح ، أخبرنا عتبة ، أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب ، أخبرنا عروة بن الزبير ، عن عائشة أنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « **إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْزِعُ الْعِلْمَ مِنَ النَّاسِ بَعْدَ أَنْ يُؤْتِيَهُمْ إِيَّاهُ وَلَكِنَّهُ يَذْهَبُ بِالْعُلَماءِ فَكُلَّمَا ذَهَبَ بِعَالِمٍ ذَهَبَ بِمَا مَعَهُ مِنَ الْعِلْمِ حَتَّى يَبْقَى مَنْ لاَ يَعْلَمُ فَيَضِلُّونَ** » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو أحمد هرون بن يوسف ، أخبرنا ابن أبى عمر ، أخبرنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى وائل ، قال : سمعت ابن مسعود يقول : « **هل تدرون كيف يَنْقُصُ الإِسْلَامُ ؟ قَالُوا : كَيْفَ ؟ قَالَ : كَمَا يَنْقُصُ الدَّابَّةَ سِمَنُهَا ، وَكَمَا يَنْقُصُ الثَّوبُ عَنْ طُولِ اللُّبْسِ ، وَكَمَا يَنْقُصُ الدِّرْهَمُ عَنْ طُولِ الْخَبْثِ ، وَقَدْ يَكُونُ فِى الْقَبِيلَةِ عَالِمَانِ فَيَمُوتُ أَحَدُهُمَا فَيَذْهَبُ نِصْفُ عِلْمِهِمْ وَيَمُوتُ الآخَرُ فَيَذْهَبُ عِلْمُهُمْ كُلُّهُ** » .

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه . كتاب العلم بلفظ : « **إن الله لايقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا** » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو الفضل العباس بن يوسف التكلى قال : قال على بن أبى طالب – رضى الله عنه – :

كلام الحكيم حياة القلوب كوبـل السمـاء غيـاث الأمم
فنطق الحكيم جـلاء الظـلام وصمت الحكيم دعاء الحكم
حياة الحكيم جلاء القلـوب كضوء النهار يجلى الظلـــم

قال محمد بن الحسين : وروى عن معاذ بن جبل – رضى الله عنه – أنه قال : « تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ ، فَإِنَّ تَعَلُّمَهُ لِلَّهِ خَشْيَةٌ ، وَطَلَبَهُ عِبادَة وَمُدارَسَتَهُ تَسْبِيحٌ ، وَالْبَحْثَ عَنْهُ جِهَادٌ ، وَتَعْلِيمَهُ مَنْ لاَيَعْلَمُ صَدَقَةٌ ، وَبَذْلَهُ لأَهْلِهِ قُرْبَةٌ لأنه مَعَالِمُ الْحَلالِ وَالْحَرَامِ ، وَالأَنِيسُ فِي الْوَحْشَة ، وَالصَّاحِبُ فِي الْخَلْوةِ ، والدَّلِيلُ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ، وَالزَّيْنُ عِنْدَ الأَخِلاَّءِ ، وَالْقَرِيبُ عِنْدَ الْغُرَبَاءِ ، يَرْفَعُ اللَّهُ بِهِ أَقْوَاماً فَيَجْعَلُهُمْ فِي الْخَلْقِ قَادَةً يُقْتَدَى بِهِمْ ، وَأَئِمَّةً فِي الْخَلْقِ تُقْتَصُّ آثَارُهُمْ ، وَيُنْتَهَي إِلَى رَأْيِهِمْ . وَتَرْغَبُ الْمَلاَئِكَةُ فِي حُبِّهِمْ بِأَجْنِحَتِهَا تمسحهم ، حَتَّى كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ لَهُمْ مُسْتَغْفِرٌ ، حَتَّى حِيتَانُ الْبَحْرِ وَهَوَامُّهُ ، وَسِبَاعُ الْبَرِّ وَأَنْعَامُه ، وَالسَّمَاءُ وَنُجُومُهَا ، لأَنَّ الْعِلْمَ حَيَاةُ الْقُلُوبِ مِنَ الْعَمَى ، وَنُورُ الأَبصَارِ مِنَ الظُّلَمِ ، وَقُوَّةُ الأَبدَانِ مِنَ الضَّعْفِ ، يَبْلُغُ بِهِ الْعَبْدُ مَنَازِلَ الأَحْرَارِ ، وَمُجَالَسَةَ الْمُلُوكِ ، وَالدَّرَجَاتِ الْعُلَى فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَالْفِكْرُ بِهِ يُعْدَلُ بِالصِّيَامِ وَمُدَارَسَتُهُ بِالقِيَامِ ، بِهِ يُطَاعُ اللَّهُ – عز وجل – ، وَبِهِ يُعْبَدُ اللَّهُ – عز وجل – وَبِهِ تُوصَلُ الأَرْحَامُ ، وَبِهِ يُعْرَفُ الْحَلاَلُ مِنَ الْحَرَامِ ، إمامُ الْعَمَلِ وَالْعَمَلُ تَابِعُهُ ، يُلْهَمُهُ السُّعَدَاءُ ، وَيُحْرَمُهُ الأَشْقِيَاءُ » .

وأخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر بن أبى داود ، أخبرنا المصرى ، أخبرنا بشر بن بكر ، عن الأوزاعى ، عن عبد السلام بن سليم ، عن

يزيد بن سمرة ، عن كثير بن قيس ، عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : « **إِنَّهُ لَيَسْتَغْفِرُ لِلْعَالِمِ كُلُّ شَىْءٍ حَتَّى الْحِيتَانُ فِى جَوْفِ الْبَحْرِ** » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو العباس أحمد بن موسى بن زنجويه القطان ، أخبرنا هشام بن عمار الدمشقى ، أخبرنا حفص بن عمر ، عن عثمان بن عطاء ، عن أبيه ، عن أبى الدرداء قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **مَاسَلَكَ عَبْدٌ طَرِيقاً يَقْتَبِسُ فِيهِ عِلْماً إلاَّ سَلَكَ بِهِ طَرِيقاً إلى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضاً عَنْهُ وَإِنَّهُ لَيَسْتَغْفِرُ لِلْعَالِمِ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِى الأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانُ فِى الْبَحْرِ** » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلوانى ، أخبرنا شيبان بن فروخ ، أخبرنا الصعق بن حزن ، أخبرنا على بن الحكم ، عن المنهال بن عمرو ، عن زر بن حبيش ، أخبرنا صفوان بن عسال المرادى قال : أتيت رسول الله ﷺ فقلت : يارسول الله : « إِنِّى جِئْتُ أَطْلُبُ الْعِلْمَ . فَقَال : « **مَرْحَبًا يَاطَالِبَ الْعِلْمِ إِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ لَتَحُفُّهُ الْمَلاَئِكَةُ وَتُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا ، ثُمَّ يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً حَتَّى يَبْلُغُوا سَمَاءَ الدُّنْيَا مِنْ حُبِّهِمْ لِمَا يَطْلُبُ** »[1] ..

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطى ، أخبرنا زهير بن محمد ، أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن

(١) رواه أحمد والطبرانى بإسناد جيد ، وابن حبان فى صحيحه ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبى جـ١ ص١٠٠ وقال الهيثمى جـ١ ص١٣١ : رجال الطبرانى رجال الصحيح .

وروى ابن ماجه نحوه باختصار « **المنتقى** جـ١ ص٢٧ » .

عاصم بن بهدلة ، عن زر بن حبيش ، قال : أتيت صفوان بن عسال المرادى فقال : مَاجَاءَ بِكَ ؟ فقلت : جِئْتُ ابْتِغَاءَ الْعِلْمِ . فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **مَا مِنْ رَجُلٍ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ لِيَطْلُبَ الْعِلْمَ إلاَّ وَضَعَتْ لَهُ الْمَلائِكَةُ أَجْنِحَتَها رِضًا لِمَا يَصْنَعُ** » .

أخبرنا أبو بكر قاسم بن زكريا المطرز ، أخبرنا محمد بن الصباح الجرجانى ، أخبرنا جرير بن عبد الحميد ، عن الأعمش عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، قال رسول الله ﷺ : « **مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقاً إلَى الْجَنَّةِ** »[1] .

أخبرنا أبو بكر ، أنبأنا أبو محمد عبد الله بن العباس الواسطى ، أخبرنا نصر بن على ، أخبرنا خالد بن يزيد ، أخبرنا أبو جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **مَنْ خَرَجَ فِى طَلَبِ الْعِلْمِ فَهُوَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ** »[2] .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلوانى ، أخبرنا أحمد بن عبد الله بن يونس ، أخبرنا عنبسة بن عبد الرحمن ، عن علاق بن

---

(١) رواه الترمذى فى سننه وقال : هذا حديث حسن .

ورواه ابن القيم فى **مفتاح دار السعادة** .

ورواه مسلم فى صحيحه من أوجه .

ورواه الحاكم فى **المستدرك** وقال : هو صحيح على شرط البخارى ومسلم .

(٢) رواه الترمذى فى سننه باب فضل العلم . وقال : هذا حديث حسن غريب .

ورواه ابن عبد البر فى **جامع بيان العلم وفضله** باب جامع فى بيان فضل العلم .

أبى مسلم ، عن أبان بن عثمان ، عن أبيه عثمان - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « **يُشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلأَنْبِيَاءِ ثُمَّ الْعُلَمَاءِ ثُمَّ الشُّهَدَاءِ** »[1] .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفى ، أخبرنا شجاع بن محمد ، أخبرنا عبد بن العوام ، أخبرنا هشام عن الحسن فى قول الله - عز وجل - : ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً﴾ قال : « **الْحَسَنَةُ فِي الدُّنْيَا الْعِلْمُ وَالْعِبَادَةُ وَالجَنَّةُ فِي الآخِرَةِ** »[2] ..

قال محمد بن الحسين : فالعلماء فى كل حال ، لهم فضل عظيم ، فى خروجهم لطلب العلم ، وفى مجالستهم ، لهم فيه فضل ، وفى مذاكرة بعضهم لبعض لهم فيه فضل ، وفيمن تعلموا منه العلم لهم فيه فضل ، وفيمن علموه العلم لهم فيه فضل ، فقد جمع الله للعلماء الخير من جهات كثيرة ، نفعنا الله وإياهم بالعلم .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا الفريابى ، أخبرنا هشام بن عمار الدمشقى ، أخبرنا صدقة بن خالد ، أخبرنا عثمان بن أبى العاتكة عن على بن يزيد ، عن القاسم عن أبى أمامة الباهلى ، أن رسول الله ﷺ قال : « **عَلَيكُمْ بِالعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ وَقَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ ثُمَّ جَمَعَ بَيْنَ أَصْبُعَيْهِ الْوُسْطَى وَالَّتِى**

---

(١) رواه ابن ماجه فى سننه ، باب ذكر الشفاعة . ولفظه : « يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ، ثم العلماء ، ثم الشهداء » .

(٢) رواه ابن عبد البر فى **جامع بيان العلم وفضله** جـ١ ص٣٠ ط دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٨هـ .

تَلِى الإِبْهَامَ وقال : « **العَالِمُ وَالْمُتَعَلِّمُ شَرِيكَانِ فِى الأَجْرِ وَلاَخَيْرَ فِى سَائِرِ النَّاسِ بَعْدُ** »[1] .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطى ، أخبرنا زهير بن محمد ، أخبرنا عبد الرزاق ، أخبرنا نور بن يزيد ، عن خالد بن معدان ، عن أبى الدرداء قال : « العالم والمتعلم فى الأجر سواء وسائر الناس همج لاخير فيهم » .

أخبرنا أبو بكر أخبرنا الفريابى ، أخبرنا قتيبة بن سعيد ، أخبرنا ابن لهيعة ، عن خالد بن أبى عمران ، عن أبى أمامة ، أن رسول الله ﷺ قال : « **أَرْبَعَةٌ تَجْرِى عَلَيْهِمْ أُجُورُهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ : الْمُرَابِطُ فِى سَبِيلِ اللهِ** ،[2] **وَمَنْ عَلِمَ عِلْمًا أُجْرِىَ لَهُ مَا عَمِلَ بِهِ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَجْرُهُ يَجْرى مَا جَرَتْ ، وَرَجُلٌ تَرَكَ أولاداً صِغَاراً فَهُمْ يَدْعُونَ لَهُ** »[3] .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو العباس أحمد بن سهل الأشنانى أخبرنا الحسين بن على بن الأسود العجلى ، أخبرنا يحيى بن آدم أخبرنا قيس بن الربيع ، أخبرنا شمر بن عطية ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال :

---

(١) رواه ابن عبد البر فى **جامع بيان العلم وفضله** باب قوله ﷺ : « **العالم والمتعلم شريكان** » جـ٢ ص١٨ .

(٢) **المرابط فى سبيل الله** : المقيم فى مكان الغزو فى سبيل رفعة الدين .

(٣) ذكره المنذرى فى **الترغيب والترهيب** ، باب الترغيب فى نشر العلم والدلالة على الخير وقال : رواه الإمام أحمد والبزار والطبرانى فى الكبير والأوسط وهو صحيح مفرقا من حديث غير واحد من الصحابة رضى الله عنهم .

المنذرى **الترغيب والترهيب** جـ١ ص١١٩ ط الحلبى بمصر » .

« مُعَلِّمُ الْخَيْرِ وَمُتَعَلِّمُهُ يَسْتَغْفِرُ لَهُمْ كُلُّ شَىْءٍ حَتَّى الْحُوتُ فِى الْبَحْرِ » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطى ، أخبرنا زياد بن أيوب ، أخبرنا هشيم ، أخبرنا سيار ، عن الشعبى قال : قال عبد الله بن مسعود : إِنَّ مُعَاذاً كَانَ أُمَّةً قَانِتاً قِيلَ لَهُ : إِنَّ إِبَراهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً . فقال عبد الله : إِنَّا كُنَّا نُشَبِّهُ مُعَاذاً بِإِبْراهِيمَ . قال : قِيلَ لَهُ : فَمَا الْقَانِتُ ؟ قَالَ : الْمُطِيعُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد ، أخبرنا الحسين بن الحسن المروزى ، أنبأنا ابن المبارك ، أنبأنا الحسن بن ذكوان ، عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : « **إِنَّ مِنَ الصَّدَقَة أَنْ تَتَعَلَّمَ الْعِلْمَ ثُمَّ تُعَلِّمَهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ عَز وجل** » .

قال محمد بن الحسين : قد اختصرت من فضل العلماء وما خصهم الله – عز وجل – به عن سائر المؤمنين ما فيه بلاغ لمن تدبره ، فألزم نفسه الطلب للعلم ليكون معهم . وذلك بتوفيق الله – عز وجل .

فإن قال قائل : من علم العلم وحفظه وناظر فيه يدخل فى هذا الفضل الذى ذكرت ؟ قبل له : أرجو أن لايخلى الله كل مسلم طلب الخير والعلم من خيره الذى وعد به العلماء ، ولكن قد ذكرت لهم أوصاف وأخلاق فنحن نذكرها ، فمن تدبرها من أهل العلم رجع إلى نفسه ، فإن كان منهم شكر الله – عزوجل –على ما خصه به وإن لم تكن أوصافه منهم ، وكان ممن علمه حجة عليه استغفر الله – عز وجل – ورجع إلى الحق من قريب ، والله ولى التوفيق .

باب أوصاف العلماء

الذين نفعهم الله بالعلم فى الدنيا والآخرة

قال محمد بن الحسين : لهذا العالم صفات ، وأحوال شتى ، ومقامات لابد له من استعمالها ، فهو مستعمل فى كل حال ما يجب عليه .

فله صفة فى طلبه للعلم كيف يطلبه .

وله صفة فى كثرة العلم ، إذا كثر عنده ما الذى يجب عليه فيه فيلزمه نفسه .

وله صفة إذا جالس العلماء كيف يجالسهم .

وله صفة إذا تعلم من العلماء كيف يتعلم .

وله صفة كيف يعلم غيره .

وله صفة إذا ناظر فى العلم كيف يناظر .

وله صفة إذا أفتى الناس كيف يفتى .

وله صفة كيف يجالس الأمراء إذا ابتلى بمجالستهم ، ومن يستحق أن يجالسه ومن لايستحق .

وله صفة عند معاشرته لسائر الناس ممن لاعلم منه .

وله صفة كيف يعبد الله – عز وجل – فيما بينه وبينه ، قد أعد لكل حق يلزمه مايقويه على القيام به ، وقد أعد لكل نازلة مايسلم به من شرها

فى دينه ، عالم بما يجتلب به الطاعات ، عالم بما يدفع به البليات ، قد اعتقد الأخلاق السنية واعتزل الأخلاق الدنية .

ذكر صفته فى طلب العلم :

فمن صفته لإرادته فى طلب العلم : أن يعلم أن الله – عز وجل – فرض عليه عبادته ، والعبادة لاتكون إلا بعلم ، وعلم أن العلم فريضة عليه ، وعلم أن المؤمن لايحسن به الجهل ، فطلب العلم لينفى عن نفسه الجهل ، وليعبد الله – عز وجل – كما أمره ، ليس كما تهوى نفسه .

فكان هذا مراده فى السعى فى طلب العلم ، معتقدا للإخلاص فى سعيه ، لايرى لنفسه الفضل فى سعيه ، بل يرى لله – عز وجل – الفضل عليه إذ وفقه لطلب علم مايعبده به من أداء فرائضه ، واجتناب محارمه .

ذكر صفته فى مشيه إلى العلماء :

يمشى برفق ، وحلم ، ووقار ، وأدب ، مكتسب فى مشيه كل خير ، تارة يحدث نفسه بنعم الله – عز وجل – عليه ، ويقتضى منها الشكر ، ويستعيذ بالله من شر سمعه ، وبصره ، ولسانه ، ونفسه ، وشيطانه ، فإن بلى بمصاحبة الناس فى طريقه ، لم يصاحب إلا من يعود عليه نفعه .

قد أقام الأصحاب مقام ثلاثة : إما رجل يتعلم منه خيرا إن كان أعلم منه . أو رجل هو مثله فى العلم فيذاكره العلم لئلا ينسى مالا ينبغى أن ينساه ، أو رجل هو أعلم منه فيعلمه ما يريد الله – عز وجل – بتعليمه إياه ، لايمل من أصحابه لكثرة صحبه ، بل يحب ذلك لما يعود عليه من بركته .

قد شغل نفسه بهذه الخصال ، خائف على نفسه أن يشتغل بغير الحق ، قد أجمع الحذر من عدوه الشيطان ، كراهية أن يزين له قبيح مانهى عنه .

يكثر الاستعاذة بالله من علم لاينفع ، ويسأله علما نافعا ، همه فى تلاوة كلام الله - عز وجل - الفهم عن الله فيما أمر ونهى ، وفى حفظ السنن والآثار والفقه ، لئلا يضيع ما أمر به ، ولأن يتأدب بالعلم ، طويل السكوت عما لايعنيه حتى يشتاق جليسه إلى حديثه .

إن ازداد علما خاف من ثبات الحجة ، فهو مشفق فى علمه كلما ازداد علما ازداد إشفاقا .

إن فاته سماع علم قد سمعه غيره فحزن على فوته لم يكن حزنه بغفلة حتى يواقف نفسه ويحاسبها على الحزن .

فيقول : لم حزنت ؟! احذرى يانفسى أن يكون الحزن عليك لا لك ، إذا سمعه غيرك فلم تسمعيه أنت ، فكان أولى بك أن تحزنى على علم قد قرع السمع ، وقد ثبتت عليك به الحجة فلم تعملى به ، فكان حزنك على ذلك أولى من حزنك على علم لم تسمعيه ، ولعلك لو قدر لك سماعه كانت الحجة عليك أوكد ، فاستغفر الله من حزنه ، وسأل مولاه الكريم أن ينفعه بما قد سمع .

صفة مجالسته للعلماء :

فإذا أحب مجالسة العلماء ، جالسهم بأدب ، وتواضع فى نفسه ، وخفض صوته عند صوتهم ، وسألهم بخضوع ، ويكون أكبر سؤاله : عن علم ماتعبده الله به ، ويخبرهم أنه فقير إلى علم مايسأل عنه

فإذا استفاد منهم علما أعلمهم : أنى قد أفدت خيرا كثيرا ، ثم شكرهم على ذلك ، وإن غضبوا عليه لم يغضب عليهم ، ونظر إلى السبب الذى من أجله غضبوا عليه ، فرجع عنه واعتذر إليهم ، لايضجرهم فى السؤال ، رفيق فى جميع أموره ، لايناظرهم مناظرة من يريهم : أنى أعلم منكم . وإنما همته البحث لطلب الفائدة منهم ، مع حسن التلطف لهم ، لايجادل العلماء ، ولايمارى السفهاء ، يحسن التأنى للعلماء مع توقيره لهم ، حتى يتعلم مايزداد به عند الله فهما فى دينه .

صفته إذا عرف بالعلم :

فإذا نشر الله له الذكر عند المؤمنين ، أنه من أهل العلم ، واحتاج الناس إلى ما عنده من العلم ، ألزم نفسه التواضع للعالم وغير العالم .

فأما تواضعه لمن هو مثله فى العلم ، فإنها محبة تنبت له فى قلوبهم ، وأحبوا قربه ، وإذا غاب عنهم حنت إليه قلوبهم .

وأما تواضعه للعلماء فواجب عليه إذ أراد العلم ذلك .

وأما تواضعه لمن هو دونه فى العلم فشرف العلم له عند الله وعند أولى الألباب ، وكان من صفته فى علمه وصدقه وحسن إرادته يريد الله بعلمه .

فمن صفته أنه لايطلب بعلمه شرف منزلة عند الملوك ، ولايحمله إليهم ، صائن للعلم إلا عن أهله ، ولايأخذ على العلم ثمناً ، ولايستقضى به الحوائج ، ولايقرب أبناء الدنيا ، ويباعد الفقراء ، ويتجافى عن أبناء الدنيا . يتواضع للفقراء والصالحين ليفيدهم العلم .

وإن كان له مجلس قد عرف بالعلم ألزم نفسه حسن المداراة لمن جالسه ، والرفق بمن سأله ، واستعمال الأخلاق الجميلة ، ويتجافى عن الأخلاق الدنية .

فأما أخلاقه مع مجالسيه فصبور على من كان ذهنه بطيئا عن فهم حتى يفهم عنه .

صبور على جفاء من جهل علمه حتى يزيده بحلم . يؤدب جلساءه بأحسن مايكون من الأدب ، لايدعهم يخوضون فيما لايعنيهم ، ويأمرهم بالإنصات مع الاستماع إلى ماينطق به من العلم .

فإن تخطى أحدهم إلى خلق لايحسن بأهل العلم لم يجبهه فى وجهه على جهة التبكيت له ، ولكن يقول : لايحسن بأهل العلم والأدب كذا وكذا ، فيكون الفاعل لخلق لايحسن قد علم أنه المراد بهذا فيبادر برفقه به .

إن سأله منهم سائل عما لايعنيه رده عنه ، وأمره أن يسأل عما يعنيه ، فإذا علم أنهم فقراء إلى علم قد أغفلوه عنه أبداه إليهم ، وأعلمهم شدة فقرهم إليه ، لايعنف السائل بالتوبيخ القبيح فيخجله ، ولايزجره فيضع من قدره ، ولكن يبسطه فى المسألة ليجبره فيها قد علم بغيته عما يعنيه ، ويحثه على طلب علم الواجبات من علم أداء فرائضه واجتناب محارمه ، يقبل على من يعلم أنه محتاج إلى علم مايسأل عنه ، ويترك من يعلم أنه يريد الجدل والمراء .

يقرب عليهم مايخافون بعده بالحكمة والموعظة الحسنة .

يسكت عن الجاهل حلما ، وينشر الحكمة نصحا ، فهذه أخلاقه لأهل مجلسه وما شاكل هذه الأخلاق .

وأما مايستعمل مع من يسأله عن العلم الفتيا : فإن من صفته إذا سأله سائل عن مسألة ، فإن كان عنده علم أجاب ، وجعل أصله أن الجواب من كتاب أو سنة أو إجماع .

فإذا أوردت عليه مسألة قد اختلف فيها أهل العلم اجتهد فيها ، فما كان أشبه بالكتاب والسنة والإجماع ولم يخرج به من قول الصحابة ، وقول الفقهاء بعدهم قال به إذا كان موافقا لقول بعض الصحابة وقول بعض أئمة المسلمين قال به .

وإن كان قد رآه مما يخالف به قول الصحابة وقول فقهاء المسلمين حتى يخرج عن قولهم لم يقل به واتهم رأيه ، ووجب عليه أن يسأل من هو أعظم منه أو مثله ، حتى يتكشف له الحق ، ويسأل مولاه أن يوفقه لإصابة الخير والحق .

وإذا سئل عن علم لايعلمه لم يستح أن يقول : لا أعلم ، وإذا سئل عن مسألة فعلم أنها من مسائل الشغب ومما يورث بين المسلمين الفتنة استعفى منها ، ورد السائل إلى ما هو أولى به على أرفق مايكون ، وإن أفتى بمسألة فعلم أنه أخطأ لم يستنكف أن يرجع عنها .

وإن قال قولا فرده عليه غيره ممن هو أعلم منه أو مثله أو دونه فعلم أن القول كذلك ، يرجع عن قوله وحمده على ذلك وجزاه خيرا .

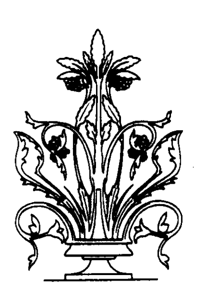
وإن سئل عن مسألة اشتبه القول عليه فيها قال : سلوا غيرى ، ولم يتكلف مالا يتقرر عليه ، يحذر من المسائل المحدثات فى البدع ولايصغى

إلى أهلها بسمعه ، ولايرضى بمجالسة أهل البدع ، ولايماريهم ، أصله الكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة ، ومن بعدهم من التابعين ، ومن بعدهم من أئمة المسلمين ، يأمر بالاتباع وينهى عن الابتداع ، لايجادل العلماء ولايمارى السفهاء .

همه فى تلاوة كلام الله الفهم ، وفى سنن الرسول ﷺ الفقه لئلا يضيع مالله عليه ، وليعلم كيف يتقرب إلى مولاه ، مذكر للغافل ، معلم للجاهل ، يضع الحكمة عند أهلها ، ويمنعها من ليس بأهلها ، مثله مثل الطبيب يضع الدواء بحيث يعلم أنه ينفع .

فهذه صفته ، وما يشبه هذه الأخلاق الشريفة ، إذ كان الله – عز وجل – قد نشر له الذكر بالعلم ، فى قلوب الخلق ، فكلما ازداد علما ، ازداد لله تواضعا يطلب الرفعة من الله – عز وجل – مع شدة حذره من واجب مايلزمه من العلم .





ذكر صفة مناظرة هذا العالم
إذا احتاج إلى المناظرة

قال محمد بن الحسين : اعلموا - رحمكم الله ، ووفقنا وإياكم للرشاد - أن من صفة هذا العالم ، العاقل ، الذى فقهه الله فى الدين ، ونفعه بالعلم : أن لايجادل ، ولايمارى ، ولايغالب بالعلم ، إلا من يستحق أن يغلبه بالعلم الشافى .

وذلك يحتاج فى وقت من الأوقات إلى مناظرة أحد من أهل الزيغ ليدفع بحقه باطل من خالف الحق ، وخرج عن جماعة المسلمين ، فتكون غلبته لأهل الزيغ ، تعود بركة على المسلمين ، على جهة الاضطرار إلى المناظرة ، لا على الاختيار .

لأن من صفة العالم العاقل ، أن لايجالس أهل الأهواء ، ولايجادلهم ، فأما فى العلم ، والفقه ، وسائر الأحكام فلا .

فإن قال قائل : فإن احتاج إلى علم مسألة قد أشكل عليه معرفتها لاختلاف العلماء فيها ، لابد له من أن يجالس العلماء ويناظرهم ، حتى يعرف القول فيها ، على صحته ، وإن لم يناظر لم تقو معرفته .

قيل له : بهذه الحجة ، يدخل العدو على النفس للهوى ، فتقول إن لم تناظر وتجادل لم تفقه فيجعل هذا سببا للجدل والمراء المنهى عنه ، الذى يخاف منه سوء عاقبته ، الذى حذرناه النبى ﷺ وحذرناه العلماء من أئمة المسلمين .

وروى عن النبى ﷺ أنه قال : « **مَن تَرَكَ المِرَاء وَهُوَ صَادِقٌ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتاً فِى وَسَطِ الْجَنَّة** » .

وعن مسلم بن يسار ، أنه كان يقول : إياكم والمراء ، فإنها ساعة جهل العالم وبها يبتغى الشيطان زلته .

وعن الحسن قال : مارأينا فقيها يمارى ، وعن الحسن أيضا قال : « المؤمن يدارى ولايمارى ، ينشر حكمة الله فإن قبلت حمد الله ، وإن ردت حمد الله » .

وروى عن معاذ بن جبل أنه قال : « إذا أحببت أخا فلا تماره ، ولاتشاره ، ولاتمازحه » .

قال محمد بن الحسين : وعند الحكماء : « إن المراء أكثره يغير قلوب الإخوان ، ويورث التفرقة بعد الألفة ، والوحشة بعد الأنس » .

وعن أبى أمامة عن النبى ﷺ قال : « **مَاضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْه إلاَّ أوتُوا الْجَدَلَ** » .

فالمؤمن العالم العاقل يخاف على دينه من الجدل والمراء .

فإن قال قائل : فما يصنع فى علم قد أشكل عليه ؟

قيل له : إذا كان كذلك . وأراد أن يستنبط علم ما أشكل عليه ، قصد إلى عالم ممن يعلم أنه يريد بعلمه الله ممن يرتضى علمه وفهمه وعقله ، فذاكره مذاكرة من يطلب الفائدة ، وأعلمه أن مناظرتى إياك مناظرة من يطلب الحق ، وليست مناظرة مغالب ، ثم ألزم نفسه الإنصاف

له في مناظرته ، وذلك أنه واجب عليه أن يحب صواب مناظره ، ويكره خطأه ، كما يحب ذلك لنفسه ويكره له مايكره لنفسه .

ويعلمه – أيضا – إن كان مرادك فى مناظرتى أن أخطىء الحق ، وتكون أنت المصيب ويكون أنا مرادى أن تخطىء الحق وأكون أنا المصيب ، فإن هذا حرام علينا فعله ، لأن هذا خلق لايرضاه الله منا .

واجب علينا أن نتوب من هذا ، فإن قال : فكيف نتناظر ؟ قيل له : مناصحة .

فإن قال : كيف المناصحة ؟ أقول له : لما كانت مسألة فيما بيننا أقول أنا : إنها حلال وتقول أنت : إنها حرام ، فحكمنا جميعا أن نتكلم فيها كلام من يطلب السلامة .

مرادى أن ينكشف لى على لسانك الحق ، فأصير إلى قولك أو ينكشف لك على لسانى الحق فتصير إلى قولى مما يوافق الكتاب والسنة والإجماع .

فإن كان هذا مرادنا رجوت أن تحمد عواقب هذه المناظرة ، وتوفق للصواب ، ولايكون للشيطان فيما نحن فيه نصيب .

ومن صفة هذا العالم العاقل : إذا عارضه فى مجلس العلم ، والمناظرة بعض من يعلم أنه يريد مناظرته للجدل ، والمراء ، والمغالبة ، لم يسعه مناظرته .

لأنه قد علم أنه إنما يريد أن يدفع قوله ، وينصر مذهبه ، ولو أتاه بكل حجة مثلها يجب أن يقبلها لم يقبل ذلك ونصر قوله .

ومن كان هذا مراده لم تؤمن فتنته ، ولم تحمد عواقبه ، ويقال لمن مراده فى المناظرة ، والمغالبة ، والجدل : أخبرنى إذا كنت أنا حجازيا وأنت عراقيا ، وبيننا مسألة على مذهبى .

أقول أنا إنها حلال ، وعلى مذهبك إنها حرام ، فسألتنى المناظرة لك عليها ، وليس مرادك فى مناظرتك الرجوع عن قولك ، والحق عندك ، أن أقول فيها قولك ، كان عندى أنا أن أقول ، وليس مرادى فى مناظرتى الرجوع عما هو عندى وإنما مرادى أن أرد قولك ، ومرادك أن ترد قولى فلا وجه لمناظرتنا .

فالأحسن بنا السكوت على ما تعرف من قولك ، وعلى ما أعرف من قولى ، وهو أسلم لنا ، وأقرب إلى الحق الذى ينبغى أن نستعمله ، فإن قال : وكيف ذلك ؟ قيل : لأنك تريد أن أخطىء الحق ، وأنت على الباطل ، ولا أوافق الصواب ، ثم تسر بذلك ، وتبتهج به ، ويكون مرادى فيك كذلك ، فإذا كنا كذلك فنحن قوم سوء لم نوفق للرشاد ، وكان العلم علينا حجة ، وكان الجاهل أعذر منا .

قال محمد بن الحسين : وأعظم من هذا كله ، أنه ربما احتج أحدهما به عن رسول الله ﷺ على خصمه فيردها عليه بغير تمييز ، كل ذلك يخشى أن تنكسر حجته ، حتى أنه لعله أن يقول بسنة عن رسول الله ﷺ ثابتة ، فيقول هذا باطل ، وهذا لاأقول به ، فيرد سنة رسول الله ﷺ برأيه ، بغير تمييز .

ومنهم من يحتج فى مسألة بقول صحابى ، فيرد عليه خصمه ذلك ، ولايلتفت إلى مايحتج عليه ، كل ذلك نصرة منه لقوله ، لايبالى أن يرد السنن ، والآثار .

قال محمد بن الحسين : من صفة الجاهل الجدل ، والمراء ، والمغالبة ، ونعوذ بالله ممن هذا مراده .

ومن صفة العالم العاقل المناصحة فى مناظرته ، وطلب الفائدة لنفسه ، ولغيره ، كثر الله فى العلماء مثل هذا ، ونفعه بالعلم ، وزينه بالحلم ..





ذكر أخلاق هذا العالم
ومعاشرته لمن عاشره من سائر الخلق

قال محمد بن الحسين : من كانت صفاته فى علمه ما تقدم ذكرنا له من أخلاقه والله أعلم أن يأمن شره من خالطه ، ويأمل خيره من صاحبه ، لايؤاخذ بالعثرات ، ولايشيع بالذنوب عن غيره ، ولايقطع بالبلاغات ، ولا يفشى سر من عاداه ، ولاينتصر منه بغير حق ، ويعفو ويصفح عنه ، ذليل للحق ، عزيز عن الباطل ، كاظم للغيظ عمن آذاه ، شديد البغض لمن عصى مولاه ، يجيب السفيه بالصمت عنه ، والعالم بالقبول منه .

لامداهن ، ولا مشاحن ، ولامحتال ، ولاحسود ، ولاحقود ، ولاسفيه ، ولاجاف ، ولافظ ، ولا غليظ ، ولاطعان ، ولالعان ، ولامغتاب ، ولاسباب .

يخالط من الإخوان من عاونه على طاعة ربه ، ونهاه عما يكره مولاه ، ويخالق بالجميل من لا يأمن شره إبقاء على دينه .

سليم القلب للعباد من الغل ، والحسد ، يغلب على قلبه حسن الظن بالمؤمنين ، فى كل ما أمكن فيه العذر ، لايحب زوال النعم عن أحد من العباد ، يدارى جهل من عامله برفقه .

إذا تعجب من جهل غيره ، ذكر أن جهله أكثر فيما بينه وبين ربه — عز وجل .

لايتوقع له بائقة ، ولايخاف منه غائلة ، الناس منه فى راحة ، ونفسه منه فى جهد .

ذكر أخلاق هذا العالم
وأوصافه فيما بينه وبين ربه – عز وجل –

قال محمد بن الحسين : جميع ماتقدم ذكرنا له ، مما ينبغى للعالم أن يستعمل من الأخلاق الشريفة كلها ما تجرى له بتوفيق من مولاه الكريم ، ومن جرى له التوفيق بما ذكرنا ، كان استعماله للأخلاق الشريفة فيما بينه وبين ربه – عز وجل – أعظم شأنا مما قد أوصله مولاه الكريم إلى قلبه يمتعه بها شرفا له بما خصه من علمه إذ جعله وارث علم الأنبياء وقرة عين الأولياء ، وطبيبا لقلوب أهل الجفاء .

فمن صفته أن يكون لله شاكرا ، وله ذاكرا ، دائم الذكر بحلاوة حب المذكور .

منعم قلبه بمناجاة الرحمن ، يعد نفسه مع شدة اجتهاده خاطئا مذنبا ، ومع الدؤوب على حسن العمل مقصرا .

لجأ إلى الله – عز وجل – فقوى ظهره ، ووثق بالله فلم يخف غيره ، مستغن بالله عن كل شيء ، ومفتقر إلى الله فى كل شيء ، إنه بالله وحده ، ووحشته ممن يشغله عن ربه .

إن ازداد علما خاف توكيد الحجة ، مشفق على مامضى من صالح عمله أن لايقبل منه .

همه فى تلاوة كلام الله الفهم عن مولاه ، وفى سنن الرسول ﷺ الفقه لئلا يضيع ما أمر به ، متأدب بالقرآن والسنة ، لاينافس أهل الدنيا فى

عزها ، ولايجزع من ذلها ، يمشى على الأرض هونا بالسكينة والوقار ، ويشتغل قلبه بالفهم والاعتبار .

إن فرغ قلبه عن ذكر الله فمصيبة عنده عظيمة ، وإن أطاع الله - عز وجل - بغير حضور فهم ، فخسران عنده مبين .

يذكر الله مع الذاكرين .

ويعتبر بلسان الغافلين ، عالم بداء نفسه ، ومتهم لها فى كل حال .

اتسع فى العلوم ، فتراكمت على قلبه الفهوم ، فاستحى من الحى القيوم ، وشغله بالله فى جميع سعيه متصل ، وعن غيره منفصل .

فإن قال قائل : فهل لهذا النعت الذى نعت به العلماء ، ووصفتهم به أصل فى القرآن أو السنة ، أو أثر عمن تقدم ؟ قيل له : نعم ، وسنذكر منه مايدل على ماقلناه إن شاء الله .

قال الله - عز وجل - : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾[1] أفلا ترى - رحمك الله - كيف وصف العلماء بالبكاء ، والخشية ، والطاعة ، والتذلل فيما بينه وبينهم .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا الفريابى ، أخبرنا أبو بكر بن أبى شيبة ، أخبرنا أبو أسامة ، عن مسعر قال : سمعت عبد الأعلى التيمى يقول : « مَنْ أُوتِىَ مِنَ الْعِلْمِ مَالاَ يُبْكِيهِ ، فَخَلِيقٌ أَنْ لاَيَكُونَ أُوتِىَ عِلْمًا يَنْفَعُهُ لأَنَّ اللَّهَ عَزَّ

(١) سورة الإسراء الآية رقم ١٠٧ - ١٠٩

وَجَلَّ نَعَتَ الْعُلَمَاءَ ، وقرأ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ .

أخبرنا أبو بكر ، حدثنى عمر بن أيوب السقطى ، أخبرنا أبو همام ، أخبرنا جعفر بن عون ، أخبرنا أبو عيسى ، عن عون بن عبد الله قال : قال عبد الله بن مسعود : « مَنْهُومَانِ لاَيَشْبَعَانِ : صَاحِبُ الْعِلْمِ وَصَاحِبُ الدُّنْيَا لَا يَسْتَوِيَانِ ، أَمَّا صَاحِبُ الْعِلْمِ فَيَزْدَادُ رِضَا اللَّهِ ، وَأَمَّا صَاحِبُ الدُّنْيَا فَيَزْدَادُ فِي الطُّغْيَانِ » قال : ثم قرأ عبد الله ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ ثم قرأ للآخر : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ * أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوى ، أخبرنا قطن بن تسير ، أخبرنا جعفر بن سليمان ، عن مطر الوراق ، فى قول الله عز وجل : ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ قال : بلغنا أن الحكمة : خشية الله ، والعلم به .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن الحسين بن عبد الجبار الصوفى ، أخبرنا محمد بن بكار ، أخبرنا عبيدة بن حميد ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، قال : قال مسروق : « بحسب امرىء من العلم أن يخشى الله ، وبحسب امرىء من الجهل أن يعجب بعلمه » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو العباس أحمد بن زنجويه ، أخبرنا هشام بن عمار الدمشقى ، أخبرنا الوليد بن مسلم ، أخبرنا الأوزاعى : قال :

سمعت يحيى بن أبى كثير يقول : « الْعَالِمُ مَنْ خَشِيَ اللَّهَ وَخَشْيَةُ اللَّهِ الْوَرَعُ »[1] .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو الحسن على بن إسحاق بن زاطيا ، أخبرنا عبد الله بن عمر القواريرى ، أخبرنا حماد بن زيد ، قال : سمعت أيوب يقول : « ينبغى للعالم أن يضع الرماد على رأسه تواضعا لله - عز وجل »[2] .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو الفضل جعفر بن محمد الصندلى ، أخبرنا أبو بكر بن زنجويه ، أخبرنا نعيم بن حماد ، عن ابن المبارك ، عن زائدة ، عن هشام ، عن الحسن ، قال : « إن كان الرجل إذا طلب العلم لم يلبث أن يرى ذلك فى تخشعه ، وبصره ، ولسانه ، ويده ، وزهده ، وإن كان الرجل ليطلب الباب من أبواب العلم ، فيعمل به فيكون خيراً له من الدنيا ، ومافيها ، لو كانت له فجعلها فى الآخرة »[3] .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو سعيد الفضل بن ميمون الخياط قال : سمعت ابن عيينة يقول : « إذا كان نهارى نهار سفيه وليلى ليل جاهل ، فما أصنع بالعلم الذى كتبت » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلوانى ، أخبرنا يحيى بن عبد الحميد الحمانى ، أخبرنا أبو بدر ، أخبرنا زياد بن خيثمة ،

---

(١) الخطيب **الفقيه والمتفقه** باب أدب الجدل جـ١ ص٣٠ .

(٢) الخطيب **الفقيه والمتفقه** باب استعمال العبد التواضع ولين الجانب ولطف الكلام جـ٢ ص١١٣ .

(٣) ابن عبد البر **جامع بيان العلم وفضله** باب جامع فى فضل العلم جـ١ ص٥٣ .

عن أبى إسحق ، عن عاصم بن ضمرة ، عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : « ألا أنبئكم بالفقيه حق الفقيه ، من لم يقنط الناس من رحمة الله ، ولم يرخص لهم فى معاصى الله ، ولم يؤمنهم مكر الله ، ولم يترك القرآن إلى غيره ، ولاخير فى عبادة ليس فيها تفقه ، ولاخير فى تفقه ليس فيه تفهم ، ولاخير فى قراءة ليس فيها تدبر »[١] .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن عبد الحميد الواسطى ، أخبرنا هرون الحمال ، أخبرنا سيار ، أخبرنا جعفر بن سليمان ، أخبرنا مطر الوراق ، قال : سألت الحسن عن مسألة فقال فيها . فقلت : ياأبا سعيد يأبى عليك الفقهاء ، ويخالفونك ، فقال : « ثكلتك أمك مطر ، وهل رأيت فقيها قط ، وهل تدرى ما الفقيه ؟ الفقيه الورع الزاهد الذى لايسخر ممن أسفل منه ، ولايهمز من فوقه ، ولايأخذ على علم علمه الله حطاما »[٢] .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا عمر بن أيوب السقطى ، أخبرنا الحسن بن عرفة ، أخبرنا المبارك بن سعيد ، عن أخيه سفيان الثورى عن عمران المنقرى ، قال : قلت للحسن يوما فى شيء قاله : ياأبا سعيد ليس هكذا يقول الفقهاء ، قال فقال : ويحك أو رأيت أنت فقيها قط؟ إنما الفقيه الزاهد فى الدنيا ، الراغب فى الآخرة ، البصير فى أمر دينه ، المداوم على عبادة الله - عز وجل -[٣] .

---

(١) الخطيب **الفقيه والمتفقه** باب ورع المفتى وتحفظه جـ٢ ص ١٦١ .
(٢) الخطيب **الفقيه والمتفقه** باب ورع المفتى وتحفظه جـ٢ ص١٦٢ .
(٣) رواه الدارمى فى سننه باب من قال : **العلم الخشية وتقوى الله** .

أخبرنا أبو بكر ، حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد ، حدثنا الحسين بن الحسن المروزى ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، حدثنا الحكم بن موسى بن أبى كردم كذا ، وقال غيره : ابن أبى درم ، عن وهب بن منبه قال : بلغ ابن عباس عن مجلس ، كان فى ناحية بنى سهم ، يجلس فيه ناس من قريش ، يختصمون فترتفع أصواتهم فقال ابن عباس : انطلق بنا إليهم ، فانطلقنا حتى وقفنا .

فقال ابن عباس : أخبرهم عن كلام الفتى الذى كلم به أيوب فى حاله ، قال أيوب : فقلت : قال الفتى : ياأيوب أما كان فى عظمة الله ، وذكر الموت مايكل لسانك ، ويقطع قلبك ، ويكسر حجتك ؟!

ياأيوب : أما علمت أن لله عبادا أسكنتهم خشية الله ، من غير عمى ، ولابكم ، وأنهم هم النبلاء ، الفصحاء ، الطلقاء ، الألباء ، العالمون بالله ، وآياته ، ولكنهم إذا ذكروا عظمة الله ، انقطعت قلوبهم ، وكلت ألسنتهم ، وطاشت عقولهم ، وأخلاقهم ، فرقا من الله ، وهيبة له .

وإذا استفاقوا من ذلك استبقوا إلى الله - عز وجل - بالأعمال الزاكية ، لايستكثرون لله الكثير ، ولايرضون له بالقليل ، يعدون أنفسهم مع الظالمين ، الخاطئين . وإنهم لأنزاه ، أبرار ، ومع المضيعين ، المفرطين ، وإنهم لأكياس ، أقوياء ، ناحلون ، دائبون يراهم الجاهل فيقول : مرضى وليسوا بمرضى ، قد خولطوا وقد خالط القوم أمر عظيم[1] .

قال محمد بن الحسين : هذه الأخبار تدل على ما وصفنا به العلماء والفقهاء ، فإن قال قائل : ولم داخل العلماء هذا الإشفاق الشديد ،

---

(١) رواه ابن المبارك فى كتاب **الزهد** ص٥٢٦ .

وخافوا من علمهم هذا الخوف كله ؟

قيل له : علموا أن الله – عز وجل – يسائلهم عن علمهم ، ما عملوا فيه ، فجعلوا مسألة الله نصب أعينهم ، فألزموا أنفسهم شدة الحذر ، وأخذوا بالثقة فى كل أمرهم .

إن قال قائل : فإن العلماء يسئلون عن علمهم ماعملوا فيه ؟ قيل : نعم .

فإن قال : فاذكر من ذلك ما إذا سمعه العالم انتبه من رقدته ، وأخذ نفسه بلزوم أخلاق من ذكرت ، والله موفقنا قيل : نعم . إن شاء الله – تعالى – .





باب ذكر سؤال الله لأهل العلم عن علمهم ماذا عملوا فيه

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو سعيد المفضل بن محمد اليمانى فى المسجد الحرام ، أخبرنا صامت بن معاذ ، أخبرنا عبد الحميد ، عن سفيان الثورى ، عن صفوان بن سليم ، عن عدى بن عدى ، عن الصنابحى عن معاذ بن جبل ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **لاتَزُولَ قَدمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْئَلَ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ : عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلاَهُ ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيه** »[1] .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر جعفر بن محمد الفريابى ، أخبرنا أبو بكر وعثمان ابنا أبى شيبة قالا : أخبرنا الأسود بن عامر ، عن أبى بكر بن عياش ، عن الأعمش ، عن سعيد بن عبد الله بن جريج ، عن أبى بردة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **لاتَزُولَ قَدمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعِ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ** ... » وذكر باقى الحديث .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا الفريابى ، أخبرنا محمد بن بكار القيسى ، أخبرنا أبو محصن حصين بن نمير ، عن حسين بن قيس ، عن عطاء ، عن ابن عمر ، عن ابن مسعود ، عن النبى ﷺ قال : « **لاتَزُولُ قَدمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسِ خِصَالٍ : عَنْ عُمُرِكَ فِيمَا أَفْنَيْتَ** ،

---

(١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

وَعَنْ شَبَابِكَ فِيمَا أَبْلَيْتَ ، وعَنْ مَالِكَ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبْتَ وَفِيمَا أَنْفَقْتَ ، وَمَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا الفريابى ، أخبرنا قتيبة بن سعيد وشيبان بن فروخ قالا : أخبرنا أبو عوانة ، أخبرنا هلال بن أبى حميد . وقال قتيبة : عن هلال الوزان ، عن عبد الله بن عكيم . قال : سمعت ابن مسعود فى هذا المسجد – يعنى مسجد الكوفة – بدأ باليمين قبل أن يحدثنا فقال : « والله ما منكم من أحد إلا وإن ربه سيخلو به كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر ثم يقول : يابن آدم ما غرك بى – ثلاث مرار – ماذا أجبت المرسلين ؟ . كيف عملت ؟ » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا يحيى بن محمد بن صاعد ، أخبرنا الحسين بن الحسن المروزى ، أخبرنا عبد الله بن المبارك ، أخبرنا سليمان بن المغيرة ، عن حميد بن هلال ، قال : قال أبو الدرداء : « إن أخوف ما أخاف إذا وقفت على الحساب ، أن يقال : قد علمت ، فماذا عملت فيما علمت ؟ » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر بن أبى داود ، أخبرنا بندار محمد بن بشار ، أخبرنا عبد الرحمن بن مهدى ، عن معاوية بن صالح ، عن حبيب بن عبيد ، قال : قال أبو الدرداء : « لاتكون عالما حتى تكون بالعلم عاملا » .

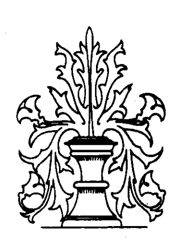
أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا جعفر بن محمد الصندلى ، أخبرنا حسن الزعفرانى ، أخبرنا محمد بن يزيد بن خنيس ، أخبرنا عمرو بن قيس ، حدثنى عطاء ، قال : كان فتى يختلف إلى أم المؤمنين فيسألها وتحدثه ،

فجاء ذات يوم يسألها فقالت : يابنى هل عملت بما سمعت ؟ فقال : لا والله يأمه ؟ قالت : يابنى ففيم تستكثر من حجج الله علينا وعليك ؟!

أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطى ، أخبرنا زهير بن محمد ، أخبرنا عبيد الله بن موسى ، عن جعفر بن برقان ، عن ميمون بن مهران ، أن أبا الدرداء . قال : « ويل للذى لايعلم مرة ، وويل للذى يعلم ولايعمل سبع مرات » .

قال محمد بن الحسين : « من تدبر هذا أشفق من علمه أن يكون عليه ، لا له ، فإذا أشفق مقت نفسه ، وبان بأخلاقه الشريفة ، التى تقدم ذكرنا لها ، والله الموفق لنا ولكم ، إلى الرشاد من القول والعمل .





كتاب أخلاق العالم الجاهل المفتتن بعلمه

قال محمد بن الحسين : قد تقدمت الأخبار عن النبى ﷺ وعن صحابته - رضى الله عنهم - وعن أئمة المسلمين - رحمهم الله - بصفة علماء فى الظاهر ، لم ينفعهم الله بالعلم ، ممن طلبه للفخر ، والرياء ، والجدل ، والمراء ، وتأكل به الأغنياء ، وجالس به الملوك ، وأبناء الملوك لينال به الدنيا فهو ينسب نفسه إلى أنه من العلماء ، وأخلاقه أخلاق أهل الجهل والجفاء ، فتنة لكل مفتون ، لسانه لسان العلماء ، وعمله عمل السفهاء .

فإن قال قائل : فاذكر الأخبار فى ذلك لنحذر ماحذرتنا ، قيل : نعم إن شاء الله .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر قاسم بن زكريا ، أخبرنا المطرز ، أخبرنا أبو الحسن رجاء بن محمد ، أخبرنا محمد بن عباد الهنائى ، أخبرنا على بن المبارك ، عن أيوب السختيانى ، عن خالد بن دريك ، عن ابن عمر . قال : قال رسول الله ﷺ : « **مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا لِغَيْرِ اللَّهِ أَوْ أَرَادَ بِهِ غَيْرَ اللَّهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ فِى النَّارِ** »[1] .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن صالح ، أخبرنا الحسن بن على الحلوانى ، أخبرنا سعيد بن أبى مريم ، أخبرنا يحيى بن أيوب ، عن

---

(١) رواه الترمذى فى سننه ، باب ماجاء فيمن يطلب بعلمه الدنيا وقال : هذا حديث حسن غريب .

ورواه ابن ماجه فى سننه باب الانتفاع بالعلم والعمل به .

ابن جريج ، عن أبى الزبير ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : **« لاتتعلّموا العِلمَ لِتُباهُوا بِهِ العُلَمَاءَ وَلاَ لِتمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ وَلاَلِتجْترُّوا بِهِ الْمَجَالِسَ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالنَّارَ النَّارَ »**(١) .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو عبيد على بن الحسين بن حرب القاضى ، أخبرنا أبو الأشعث أحمد بن المقدام ، أخبرنا أمية بن خالد ، أخبرنا إسحق بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله ، حدثنى ابن كعب بن مالك عن أبيه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **« مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِىَ بِهِ العُلَمَاءَ ، ويُمَارِىَ بِهِ السُّفَهَاءَ ، وَيَصْرِفَ بِهِ وُجوهَ النَّاسِ إلَيْهِ أَدْخلَهُ اللَّهُ النَّارَ »** .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو جعفر أحمد بن محمد البرذعى فى المسجد الحرام ، أخبرنا يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا عبد الله بن وهب ، أخبرنى يحيى بن عبد السلام ، عن عثمان بن مقسم ، عن سعيد المقبرى ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : **« إن أشَدَّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنفَعْهُ عِلْمُهُ »**(٢) .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر بن أبى داود ، أخبرنا أيوب بن محمد الوزان ، أخبرنا غسان – يعنى ابن عبيد – عن عثمان البرى ، عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى ، عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) الخطيب فى **الفقيه والمتفقه** باب إخلاص النية جـ٢ ص٨٨ .

(٢) رواه ابن عبد البر فى **جامع بيان العلم وفضله** باب ذكر استعاذة رسول الله ﷺ من علم لاينفع وسؤاله العلم النافع جـ١ ص١٦٢ .

والحديث رواه الطبرانى فى **الصغير، والبيهقى** .

يقول : « **إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ عِلْمُهُ** » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أحمد بن يحيى الحلوانى ، أخبرنا عبد الله بن الصادق ، أخبرنا يوسف بن عطية ، عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « **يَكُونُ فِى آخِرِ الزَّمَانِ عُبَّادٌ جُهَّالٌ وَعَلَمَاءُ فُسَّاقٌ** » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر جعفر بن محمد الفريابى أخبرنا محمد بن الحسن البلخى ، أخبرنا عبد الله بن المبارك ، أخبرنا سفيان الثورى ، قال : يقال :«تعوذوا بالله من فتنة العابد الجاهل ، وفتنة العالم الفاجر ، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون »[(١)] .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا الفريابى ، أخبرنا هشام بن عمار ، أخبرنا صدقة بن خالد ، أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، قال : سمعت مكحولا يقول : « إنه لايأتى على الناس مايوعدون ، حتى يكون عالمهم فيهم أنتن من جيفة حمار » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا الفريابى ، أخبرنا العباس بن الوليد بن مزيد ، أخبرنى أبى ، قال : سمعت الأوزاعى ، يقول : « كان يقال : ويل للمتفقهين لغير العبادة ، والمستحلين الحرمات بالشبهات » .

---

(١) رواه ابن عبد البر فى **جامع بيان العلم وفضله** فى باب ذم الفاجر من العلماء وذم طلب العلم للمباهاة وللدنيا .

وجاء من حديث ابن وهب أن رسول الله ﷺ قال : « **هلاك أمتى عالم فاجر وعابد جاهل ، وشر الشر أشرار العلماء وخير الخير خيار العلماء** » ابن عبد البر **جامع بيان العلم** جـ١ ص١٩٢ .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد ، أخبرنا الحسين بن الحسن المروزى ، أخبرنا عبد الله بن المبارك ، أخبرنا بكار ، عن عبد الله قال : سمعت وهب بن منبه يقول : قال الله - عز وجل - فيما يعاتب به أحبار بنى إسرائيل : « تفقّهون لغير الدين ، وتعلّمون لغير العمل ، وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة ، تلبسون جلود الضأن ، وتخفون أنفُس الذئاب ، وتتقون القذا من شرابكم ، وتبتلعون أمثال الجبال من الحرام ، وتثقلون الدين على الناس أمثال الجبال ، تطيلون الصلاة وتبيضون الثياب ، تنتقصون مال اليتيم ، والأرملة ، فبعزتى حلفت لأضربنكم بفتنة يضل فيها رأى ذى الرأى وحكمة الحكيم »[1] .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا جعفر بن محمد الصندلى ، أخبرنا الفضل بن زياد ، قال : سمعت الفضيل يقول : « إنما هما عالمان : عالم دنيا ، وعالم آخرة ، فعالم الدنيا علمه منشور ، وعالم الآخرة علمه مستور ، فاتبعوا عالم الآخرة ، واحذروا عالم الدنيا ، لايصدنكم بسكره » ثم تلا هذه الآية ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الأحبار : العلماء ، والرهبان : العباد ، ثم قال : « لكثير من علمائكم زيه أشبه بزى كسرى وقيصر منه بمحمد ﷺ إن النبى ﷺ لم يضع لبنة على لبنة ، ولا قصبة على قصبة ، ولكن رفع له علم فشمر إليه .

وقال الفضيل : « العلماء كثير ، والحكماء قليل ، وإنما يراد من العلم الحكمة ، فمن أوتى الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا » .

---

(١) رواه الخطيب فى **الفقيه والمتفقه** باب إخلاص النية جـ٢ ص٨٩ .

قال محمد بن الحسين : قول الفضيل - والله أعلم - الفقهاء كثير والحكماء قليل . يعنى قليل من العلماء من صان علمه عن الدنيا ، وطلب به الآخرة ، والكثير من العلماء قد افتتن بعلمه،والحكماء قليل كأنه يقول : ما أعز من طلب بعلمه الآخرة .

وأخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو العباس أحمد بن سهل ، أخبرنا بشر بن الوليد ، أخبرنا فليح بن سليمان ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر عن سعيد بن يسار عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ لاَيَتَعَلَّمُهُ إلاَّ لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضاً مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** »[1] .

أخبرنا أبو بكر ، نا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد ، أخبرنا شعيب بن أيوب ، أخبرنا عبد الله بن نمير ، أخبرنا معاوية النصرى ، عن الضحاك ، عن الأسود بن يزيد ، قال غير شعيب : وعلقمة ، ولم أر شعيبا ذكر علقمة ، قال : قال عبد الله بن مسعود : « لو أن أهل العلم صانوا العلم ووضعوه عند أهله سادوا به أهل زمانهم ، ولكنهم بذلوه لأهل الدنيا لينالوا من دنياهم فهانوا على أهلها » .

سمعت نبيكم ﷺ يقول : « **مَنْ جَعَلَ الْهُمُوم هَمًّا وَاحِداً هَمَّ آخِرَتِهِ ، كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ هُمُومُ أَحْوَالِ الدُّنْيَا لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِى أَىِّ أَوْدِيَتِهَا هَلَكَ** »[2] .

---

(١) الخطيب **الفقيه والمتفقه** باب إخلاص النية جـ٢ ص٨٩ .

(٢) ابن ماجه فى سننه . باب الانتفاع بالعلم والعمل به .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا عمر بن أيوب السقطى ، أخبرنا الحسن بن حماد الكوفى ، أخبرنا أبو أسامة ، عن عيسى بن سنان ، قال : سمعت وهب بن منبه ، يقول لعطاء الخراسانى : كان العلماء قبلنا استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم ، فكانوا لايلتفتون إلى دنياهم ، فكان أهل الدنيا يبذلون لهم دنياهم رغبة فى علمهم ، فأصبح أهل العلم منا اليوم يبذلون لأهل الدنيا علمهم لما رأوا من سوء موضعه عندهم ، فإياك وأبواب السلاطين ، فإن عند أبوابهم فتنا كمبارك الإبل ، لاتصيب من دنياهم شيئا إلا أصابوا من دينك مثله » .

قال محمد بن الحسين : فإذا كان يخاف على العلماء فى ذلك الزمان أن تفتنهم الدنيا ، فما ظنك به فى زماننا هذا ؟ الله المستعان . ما أعظم ما قد حل بالعلماء من الفتن وهم عنه فى غفلة .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد العطشى ، أخبرنا على بن حبيب الطائى ، أخبرنا سعيد بن عامر عن هشام صاحب الدستوائى ، قال : قرأت فى كتاب : بلغنى أن من كلام عيسى بن مريم عليه السلام :

كيف يكون من أهل العلم من سخط رزقه ، واحتقر منزلته ، وقد علم أن ذلك من علم الله وقدرته ؟!

وكيف يكون من أهل العلم من اتهم الله فيما قضاه ، وليس يرضى شيئا أصابه ؟!

كيف يكون من أهل العلم من مسيره إلى آخرته ، وهو مقبل على دنياه ؟!

وكيف يكون من أهل العلم من دنياه آثر عنده من آخرته ، وهو فى دنياه أفضل رغبة ؟!

وكيف يكون من أهل العلم من يطلب الكلام ليحدث به ، ولايطلبه ليعمل به ؟![1] .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا جعفر بن محمد الصندلى ، أخبرنا الفضل بن زياد ، أخبرنا عبد الصمد بن يزيد ، قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول : إن الله – عز وجل – يحب العالم المتواضع ، ويبغض العالم الجبار ، ومن تواضع لله ورثه الله الحكمة[2] .

أخبرنا أبو بكر عبد الله بن عبد الحميد الواسطى ، أخبرنا زهير بن محمد ، أخبرنا هدبة ، أخبرنا حزم . قال : سمعت مالك بن دينار يقول : إنكم فى زمان أشهب ، لايبصر زمانكم إلا البصير ، إنكم فى زمان نفخاتهم قد انتفخت ألسنتهم فى أفواههم ، وطلبوا الدنيا بعمل الآخرة ، فاحذروهم على أنفسكم ، لايوقعوكم فى شبكاتهم ، ياعالم أنت عالم ، تأكل بعلمك ؟ ياعالم أنت عالم تفخر بعلمك ؟ ياعالم أنت عالم تكاثر بعلمك ؟ ياعالم أنت عالم ، تستطيل بعلمك ؟ لو كان هذا العلم طلبته لله لرئى ذلك فيك وفى علمك .

قال محمد بن الحسين : فإن قال قائل : فصف لنا أخلاق هؤلاء العلماء الذين علمهم حجة عليهم حتى إذا رأينا من يشار إليه بالعلم ، اعتبرنا

---

(١) رواه الدارمى فى مسنده ، باب التوبيخ لمن يطلب العلم لغيره .

(٢) الخطيب فى **الفقيه والمتفقه** باب استعمال التواضع ولين الجانب ولطف الكلام جـ٢ ص١١٣ .

ما ظهر من أخلاقهم ، فإذا رأينا أخلاقا لاتحسن بأهل العلم اجتنبناهم ، وعلمنا أن ما استبطنوه من دناءة الأخلاق أقبح مما ظهر ، وعلمنا أنه فتنة فاجتنبناهم ، لئلا نفتتن كما افتتنوا ، والله موفقنا للرشاد .

قيل له : نعم . سنذكر من أخلاقهم ما إذا سمعها من ينسب إلى العلم رجع إلى نفسه فتصفح أمره ؛ فإن كان فيه خلق من تلك الأخلاق المكروهة المذمومة استغفر الله ، وأسرع الرجعة عنها إلى أخلاق هى أولى بالعلم ، مما يقربهم إلى الله – عز وجل – وتجافى عن الأخلاق التى تباعدهم عن الله .

فمن صفته فى طلبه للعلم : « لا يطلب العلم بالسهو والغفلة ، وإنما يطلب من العلم ما أسرع إليه هواه . فإن قال : كيف ليس مراده فى طلب العلم أنه فرض عليه ، ليتعلم كيف يعبد الله فيما يعبده من أداء فرائضه واجتناب محارمه ، إنما مراده فى طلبه يكثر التعرف أنه من طلاب العلم وليكون عنده ، فإذا كان عنده هذب نفسه .

وكم علم إذا سمعه أو حفظه شرف به عند المخلوقين ، سارع إليه ، وخف فى طلبه ، وكل علم وجب عليه فيما بينه وبين ربه – عز وجل – أن يعلمه ، فيعمل به ، ثقل عليه طلبه فتركه على بصيرة منه ، مع شدة فقره إليه ، يثقل عليه أن يفوته سماعا لعلم قد أراده حتى يلزم نفسه بالاجتهاد فى سماعه ، فإذا سمعه هان عليه ترك العمل به فلم يلزمها ما وجب عليه من العمل به كما ألزمها السماع .

فهذه غفلة عظيمة إن فاته سماع شيء من العلم أحزنه ذلك ، وأسف على فوته . كل ذلك بغير تمييز منه . وكان الأولى به أن يحزن على علم

قد سمعه فوجبت عليه به الحجة ، فلم يعمل به ، ذلك كان أولى به أن يحزن عليه ، ويتأسف ، يتفقه للرياء ، ويحاج للمراء ، مناظرته فى العلم تكسبه المآثم ، مراده فى مناظرته أن يعرف بالبلاغة ، ومراده أن يخطىء مناظره ، إن أصاب مناظره الحق ساءه ذلك ، فهو دائب .

يسره ما يسر الشيطان ، ويكره ما يحب الرحمن ، يتعجب ممن لاينصف فى المناظرة وهو يجور فى المحاجة ، ويحتج على خطئه ، وهو يعرفه ولايقربه ، خوفا أن يذم على خطئه ، يرخص فى الفتوى لمن أحب ، ويشدد على من لاهوى له فيه ، يذم بعض الرأى ، فإن احتاج الحكم والفتيا لمن أحب دله عليه ، وعمل به ، من تعلم منه علما فهمته فيه منافع الدنيا ، فإن عاد عليه خف عليه تعليمه ، وإن كان ممن لامنفعة له فيه للدنيا ، وإنما منفعته الآخرةِ ثقل عليه ، يرجو ثواب علم ما لم يعمل به ، ولايخاف سوء عاقبة المساءلة عن تخلف العمل به .

يرجو ثواب الله على بغضه من ظن به السوء من المسئولين ، ولايخاف مقت الله على مداهنته للمهتوكين ، ينطق بالحكمة فيظن أنه من أهلها ، ولايخاف عظم الحجة عليه ، لتركه استعمالها ، إن علم ازداد مباهاة وتصنعا . وإن احتاج إلى معرفة علم تركه آنفا .

إن كثر العلماء فى عصره ، فذكروا بالعلم أحب أن يذكر معهم ، إن سئل العلماء عن مسألة فلم يسأل هو أحب أن يسأل ، كما سئل غيره ، وكان أولى به أن يحمد ربه ، إذا لم يسأل وإذا كان غيره قد كفاه ، إن بلغه أن أحداً من العلماء أخطأ ، وأصاب هو فرح بخطأ غيره ، وكان حكمه أن يسوءه ذلك .

إن مات أحد من العلماء سره موته ، ليحتاج الناس إلى علمه ، إن سئل عما لايعلم أنف أن يقول : لاأعلم حتى يتكلف مالا يسعه فى الجواب .

إن علم أن غيره أنفع للمسلمين منه كره حياته ، ولم يرشد الناس إليه .

إن علم أنه قال قولا فتوبع عليه ، وصارت له به رتبة ، عند من جهله ، ثم علم أنه أخطأ ، لم يرجع عنه لئلا تسقط رتبته عند المخلوقين ، يتواضع بعلمه للملوك ، وأبناء الدنيا ، لينال حظه منهم ، بتأويل يقيمه ، ويتكبر على من لادنيا له من المستورين ، والفقراء ، فيحرمهم علمه ، بتأويل يقيمه ، ويعد نفسه فى العلماء ، وأعماله أعمال السفهاء ، قد فتنه حب الدنيا ، والثناء ، والشرف ، والمنزلة عند أهل الدنيا . يتجمل بالعلم كما تتجمل بالحلة الحسناء للدنيا ، ولايجمل علمه بالعمل به .

قال محمد بن الحسين : من تدبر هذه الخصال ، فعرف أن فيه يمضى – ماذكرنا – وجب عليه أن يستحى من الله ، وأن يسرع الرجوع إلى الحق ، وسأذكر من الآثار بعض ماذكرت ليتأدب به العالم إن شاء الله ، فأما قولنا : يتجمل بالعلم ولايجمل العلم بعمله :

حدثنا أبو بكر ، حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد ، حدثنا الحسين بن الحسن المروزى ، حدثنا ابن المبارك ، حدثنا حريز بن عثمان ، عن حبيب بن عبيد قال : « تعلموا العلم ، واعتقلوه ، وانتفعوا به ، ولاتعلموه لتجملوا به . إنه يوشك إن طال بك العمر ، أن تتجمل بالعلم كما يتجمل الرجل بثوبه » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطى ، أخبرنا زهير بن محمد ، أخبرنا على بن قادم ، أخبرنا سفيان عن ليث ، قال : قال طاوس : « ما تعلمت . فتعلم لنفسك فإن الأمانة والصدق قد ذهبا من الناس » .

قال محمد بن الحسن : وأما من كره أن يفتى إذا علم أن غيره يكفيه :

فحدثنا جعفر بن محمد الصندلى ، أخبرنا الحسين بن محمد الزعفرانى ، أخبرنا شبابة بن سوار ، أخبرنا شعبة ، عن عطاء بن السائب ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، قال : « أدركت عشرين ومائة من أصحاب النبى ﷺ من الأنصار إذا سئل أحدهم عن الشىء أحب أن يكفيه صاحبه » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا جعفر أيضا ، أخبرنا محمد بن المثنى ، قال : سمعت بشر بن الحارث ، يقول : سمعت المعافى بن عمران ، يذكر عن سفيان قال : « أدركت الفقهاء وهم يكرهون أن يجيبوا فى المسائل والمشاهد ، ولايفتوا حتى لايجدوا بدا من أن يفتوا . وقال المعافى : سألت سفيان فقال : « أدركت الناس ممن أدركت من العلماء ، والفقهاء ، وهم يترادون المسائل ، يكرهون أن يجيبوا فيها ، فإذا أعفوا عنها كان ذلك أحب إليهم »[1] .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو العباس أحمد بن سهل الأشنانى ، أخبرنا الحسن بن الأسود العجلى ، أخبرنا يحيى بن آدم ، أخبرنا حماد بن

---

(١) الخطيب **الفقيه والمتفقه** باب القول فى السؤال عن الحادثة والكلام فيها قبل وقوعها جـ٢ ص١٥ .

شعيب ، عن حجاج ، عن عمير بن سعيد قال : سألت علقمة عن مسألة ، فقال : « ائت عبيدة فاسأله . فأتيت عبيدة .

فقال : ائت علقمة ، فقلت : علقمة أرسلنى إليك .

فقال : ائت مسروقا فاسأله . فأتيت مسروقا فسألته ، فقال : ائت علقمة فاسأله . فقلت : علقمة أرسلنى إلى عبيدة ، وعبيدة أرسلنى إليك .

فقال : ائت عبد الرحمن بن أبى ليلى ، فأتيت عبد الرحمن بن أبى ليلى فسألته فكرهه .

ثم رجعت إلى علقمة فأخبرته . قال : كان يقال : « أجرأ القوم على الفتيا أدناهم علما »[1] .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا جعفر بن سعيد الصندلى ، أنبأنا محمد بن المثنى ، قال : سمعت بشرا ، قال : قال سفيان : « من أحب أن يسأل فليس بأهل أن يسأل » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن عبد الحميد الواسطى ، أخبرنا زهير بن محمد ، أخبرنا سعيد بن سليمان ، أخبرنا محمد بن طلحة بن مصرف عن أبى حمزة ، قال : قال لى إبراهيم : والله ياأبا حمزة ، لقد تكلمت ولو أجد بدا ماتكلمت ، وإن زمانا أكون فيه فقيه أهل الكوفة زمان سوء .

---

(١) الخطيب الفقيه والمتفقه جـ٢ ص١٣ .

وأما من كان إذا سئل عن الأمر سأل : هل كان ؟ قال : قيل : كان ، أفتى فيه ، وإن قيل : لم يكن لم يفت فيه ، كل ذلك إشفاقا من الفتيا :

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحرانى ، أخبرنا داود بن عمر ، وأخبرنا عبد الرحمن بن أبى الزناد ، عن أبيه ، عن خارجة بن زيد بن ثابت ، قال : إذا سئل عن شيء قال : هل وقع ؟ فإن قالوا له : لم يقع . لم يخبرهم . وإن قالوا : قد وقع أخبرهم[1] .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن عبد الحميد الواسطى ، أخبرنا زهير ، أخبرنا أبو نعيم ، أخبرنا موسى بن على ، قال : سمعت أبى قال : كان الرجل يأتى زيد بن ثابت فيسأله عن الأمر فيقول : « الله أنزل هذا ؟ فإن قال : والله لقد ترك هذا ، أفتاه . وإن لم يحلف تركه .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا ابن عبد الحميد الواسطى – أيضا – أخبرنا زهير ، أخبرنا شريح بن النعمان ، أخبرنا أبو عوانة ، عن فراس ، عن عامر ، عن مسروق ، قال : « كنت أمشى مع أبى بن كعب ، فقال له رجل : ياعماه كذا وكذا ، فقال : يا بن أخى : أكان هذا ؟ قال : لا . قال : فأعفنا حتى يكون » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا ابن عبد الحميد ، أخبرنا زهير بن محمد بن قمير ، أخبرنا منصور بن سعيد ، أخبرنا حماد بن زيد ، أخبرنا الصلت بن راشد ، قال : سألت طاوساً عن شيء فانتهرنى . وقال : أكان هذا ؟ قلت : نعم . قال : آلله . قلت : آلله . قال : أصحابنا أخبرونا عن

---

(١) رواه ابن عبد البر فى **جامع بيان العلم وفضله** باب ذم القول فى دين الله بالرأى والظن والقياس على غير أصل جـ٢ ص١٣٣ .

معاذ بن جبل ، أنه قال : « أيها الناس لاتعجلوا بالبلاء قبل نزوله ، فيذهب بكم ههنا وههنا ، فإنكم إن لم تعجلوا بالبلاء قبل نزوله لم ينفك المسلمون أن يكون فيهم من إذا سئل سدد ، أو قال : وفق[١] .

قال محمد بن الحسين : وأما - ماذكرنا - فى الأغلوطات ، وتعقيد المسائل ، مما ينبغى للعالم أن ينزه نفسه عن البحث عنهما ، مما لم يكن ، ولعلها لاتكون أبدا ، فيشغلوا نفوسهم بالنظر ، والجدل ، والمراء فيهما ، حتى يشتغلوا بهما عما هو أولى بهم ، ويغالط بعضهم بعضا ، ويطلب بعضهم زلل بعض ، ويسأل بعضهم بعضا ، هذا كله مكروه ، منهى عنه ، لايعود على من أراد هذا منفعة فى دينه ، وليس هذا طريق من تقدم من السلف الصالح ، ما كان يطلب بعضهم غلط بعض ، ولا مرادهم أن يخطىء بعضهم بعضا ، بل كانوا علماء عقلاء ، يتكلمون فى العلم مناصحة ، وقد نفعهم الله بالعلم .

أخبرنا أبو بكر الفريابى ، أخبرنا قتيبة بن سعيد ، أخبرنا سفيان بن عيينة ، عن الزهرى ، عن عامر بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا رَجُلٌ سَأَلَ عَلَى أَمْرٍ لَمْ يُحَرَّمْ فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ** »[٢] .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفى أبو عبد الله ، أخبرنا أبو طالب عبد الجبار بن عاصم ، أخبرنا عبد الله بن

---

(١) الخطيب فى **الفقيه والمتفقه** باب القول فى السؤال عن الحادثة والكلام فيها قبل وقوعها جـ٢ ص١٢ .

(٢) رواه مسلم فى صحيحه ، باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه .

عمرو ، عن عبد الملك بن عمير ، عن وراد مولى المغيرة بن شعبة ، عن المغيرة بن شعبة . أن رسول الله ﷺ : « **نَهَى عَنْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ** » .

أخبرنا جعفر بن محمد الصندلى ، أخبرنا أحمد بن منصور الرمادى ، أخبرنا أبو النضر – يعنى الدمشقى – أخبرنا يزيد بن ربيعة . قال : سمعت أبا الأشعث يحدث عن ثوبان ، عن رسول الله ﷺ قال : « **سَيَكُونُ أَقْوَامٌ مِنْ أُمَّتِي يَتَغَلَّطُونَ فُقَهَاءَهُمْ بِعُضَلِ الْمَسَائِلِ أُولَئِكَ شِرَارُ أُمَّتِي** »[1] .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا جعفر الصندلى ، أخبرنا الحسن بن محمد الزعفرانى ، أخبرنا على بن بحر القطان ، أخبرنا عيسى بن يونس ، أخبرنا الأوزاعى ، عن عبد الله بن سعد ، عن الصنابحى ، عن معاوية بن أبى سفيان أن النبى ﷺ : نهى عن الأغلوطات . قال عيسى : والأغلوطات : مالا يحتاج إليه من كيف وكيف[2] .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو جعفر أحمد بن محمد البرذعى فى المسجد الحرام ، أخبرنا يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا عبد الله بن وهب ، أخبرنا مسلمة بن على ، عن صالح عن الحسن . قال : « إن شرار عباد الله : قوم يحبون شرار المسائل ؛ يعمون بها عباد الله » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا جعفر بن محمد الصندلى ، أخبرنا الزعفرانى ، أخبرنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن عمران بن جبير ، عن ربيع بن كثير .

---

(١) رواه الخطيب فى **الفقيه والمتفقه** باب القول عن الحادثة جـ٢ ص١١ .
(٢) رواه الخطيب فى **الفقيه والمتفقه** جـ٢ ص١ .

قال : قال على بن أبى طالب يوما : سلونى عما شئتم . فقال ابن الكواء : ما السواد الذى فى القمر ؟ قال : قاتلك الله . ألا سألت عما ينفعك فى دنياك وآخرتك ذاك محو آية الليل .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا جعفر بن محمد الصندلى ، أخبرنا الفضل بن زياد . قال : سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل – رحمه الله – يقول لرجل ألح عليه فى تعقيد المسائل ، فقال أحمد : تسأل عن عبدين رجلين ؟ سل عن الصلاة والزكاة شيئا تنتفع به ، ونحو هذا . ما تقول فى صائم احتلم ؟ فقال : الرجل لا أدرى . فقال أبو عبد الله : تترك ماتنتفع به وتسأل عن عبدين رجلين ؟! ثم حدثنا عن روح ، عن أشعث ، عن الحسن فى صائم احتلم : لاشىء عليه .

وحدثنا عن روح ، عن حبيب بن أبى حبيب ، عن عمرو بن هرم ، عن جابر بن زيد فى صائم احتلم . قال : لاشىء عليه . ولكن يعجل الغسل .

قال محمد بن الحسين : فلو أدب العلماء أنفسهم وغيرهم بمثل هذه الأخلاق ، التى كان عليها من مضى من أئمة المسلمين ، انتفعوا بها ، وانتفع بهم غيرهم . وبارك الله لهم فى قليل علمهم ، وصاروا أئمة يهتدى بهم .

وأما الحجة للعالم يسأل عن الشىء لايعلمه ، فلا يستنكف أن يقول : لأعلم . إذا كان لايعلم . وهذا طريق أئمة المسلمين من الصحابة ، ومن بعدهم من أئمة المسلمين ، اتبعوا فى ذلك نبيهم ﷺ .

لأنه كان إذا سئل عن الشيء مما لم يتقدم له فيه علم الوحى من الله – عز وجل – فيقول : لا أدرى .

وهكذا يجب على كل من سئل عن شيء لم يتقدم فيه العلم . أن يقول : الله أعلم به ، ولاعلم لى به ، ولايتكلف مالا يعلمه ، فهو أعذر له عند الله ، وعند ذوى الألباب .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا الفريابى ، أخبرنا عثمان بن أبى شيبة ، أخبرنا جرير بن عبد الحميد ، عن عطاء بن السائب ، عن محارب بن دثار ، عن ابن عمر قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ **فقال : يارسول الله ، أى البقاع خير ؟ قال : لاأدرى أو سكت . قال : فأى البقاع شر ؟ قال : لاأدرى أو سكت . فأتاه جبريل – عليه السلام – فسأله عن شيء فقال : لاأدرى . فقال : سل ربك . قال : ماأسأله وانتفض انتفاضة كاد يصعق منها محمد ﷺ قال : فلما صعد جبريل – عليه السلام – قال الله – تعالى – : سألك محمد عن أى البقاع خير قلت : لاأدرى ، وسألك عن أى البقاع شر ، قلت : لاأدرى قال : فخبره « أنَّ خَيْرَ البِقَاعِ الْمَسَاجِدُ ، وَشَرَّ البِقَاعِ الأسواقُ »**[1] .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو أحمد هارون بن يوسف التاجر ، أخبرنا ابن أبى عمر ، أخبرنا سفيان عن عطاء بن السائب ، عن زاذان أبى ميسرة . قال : خرج علينا على بن أبى طالب – رضى الله عنه – يوما ،

---

(١) ابن عبد البر **جامع بيان العلم وفضله** باب ما يلزم العالم إذا سئل عما لايدريه من وجوه العلم ص٣٤٠ .

وهو يمتسح بطنه ، وهو يقول : يابردها على الكبد . سئلت عما لا أعلم فقلت : لا أعلم ، والله أعلم .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو أحمد - أيضا - أخبرنا ابن أبى عمر ، أخبرنا سفيان عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق . قال : قال عبد الله : أيها الناس من علم منكم علما ، فليقل به ، ومن لم يعلم فيقول : لا أعلم ، والله أعلم . فإن من علم المرء ، أن يقول لما لايعلم : الله أعلم . وقد قال الله - تعالى - : ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾[1] .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد ، أخبرنا الحسين بن الحسن المروزى ، أخبرنا ابن المبارك ، أخبرنا محمد بن عجلان ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أنه سئل عن أمر لايعلمه فقال : لاأعلمه[2] .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا جعفر الصندلى ، أخبرنا أحمد بن منصور الرمادى ، أخبرنا محاضر ، عن الأعمش ، عن عطية ، قال : جاء رجل إلى ابن عمر يسأله عن قريضة هينة من الصلب . فقال : لاأدرى فقام الرجل ، فقال له بعض من عنده : ألا أخبرت الرجل ؟ فقال : لا ، والله ما أدرى .

---

(١) الخطيب **الفقيه والمتفقه** باب الإحجام عن الجواب إذا خفى عن المسئول وجه الصواب جـ٢ ص١٧١ .

(٢) المصدر السابق جـ٢ ص١٧٢ .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا هرون بن يوسف ، أخبرنا ابن أبى عمر ، أخبرنا سفيان ، عن يحيى بن سعيد . قال : سئل ابن لعبد الله بن عبد الله بن عمر عن شيء فلم يكن عنده جواب . فقلت : إنى لأعظم أن يكون مثلك ابن إمام هدى . يسأل عن شيء لايكون عندك منه علم ؟ فقال : أعظم والله من ذلك عند الله وعند من عقل عن الله - عز وجل - أن أقول بغير علم ، أو أحدث عن غير ثقة .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو الفضل جعفر بن محمد الصندلى ، أخبرنا أحمد بن منصور الرمادى ، أخبرنا عبد الرزاق . قال : كان مالك يذكر . قال : كان ابن عباس يقول : إذا أخطأ العالم أن يقول : لا أدرى فقد أصيبت مقاتله[1] .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا جعفر الصندلى ، أخبرنا يعقوب بن بختان ، قال : سمعت أحمد بن حنبل - أبا عبد الله ، رحمه الله - قال : سمعت الشافعي . قال : سمعت مالكا . قال : سمعت ابن عجلان . قال : إذا أغفل العالم لاأدرى أصيبت مقاتله .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا جعفر ، أخبرنا صالح بن أحمد عن أبيه . قال : سمعت عبد الرحمن بن مهدى . يقول : جاء رجل إلى مالك بن أنس يسأله عن شيء فقال له مالك : لاأدرى . قال الرجل : فأذكر عنك أنك لاتدرى ؟ قال : نعم احك عنى ، أنى لاأدرى .

قال محمد بن الحسين : من تخلق بهذه الأخلاق كانت أوصافه تلك الأوصاف التى تقدم ذكرنا لها .

---

(١) رواه الخطيب فى **الفقيه والمتفقه** باب ماجاء فى الإحجام عن الجواب إذا خفى عن المسئول وجه الصواب جـ٢ ص١٧٢ .

وصف من لم ينفعهم الله بالعلم

وأما من كانت أوصافه وأخلاقه : الأخلاق المذمومة التى ذكرناها ، لم يلتفت إلى هذا ، واتبع هواه ، وتعاظم فى نفسه ، وتجبر ، ولم يؤثر العلم فى قلبه أثراً ، يعود عليه نفعه ، وكانت أخلاقه فى كثير من أموره ، أخلاق أهل الجفا ، والغفلة .

وسأذكر من أخلاقه الجافية : إذا تصفح نفسه من خرج عن الأخلاق الشريفة ، ورضى لنفسه الأخلاق الدنيئة ، التى لاتحسن بالعلماء ، علم أنها فيه ، وشهد على نفسه بذلك ، لايمكنه دفع ذلك ، والله العظيم مطلع على سره .

فمن صفته أن يكون أكثر همه معاشه من حيث نهى عنه مخافة الفقر أن ينزل به ، لايقنع بما أعطى مستبطئا لما لم يجر به المقدور ، أن يكون شغل الدنيا دائم فى قلبه ، وذكر الآخرة خطرات . يطلب الدنيا بالتعب ، والحرص ، والنصب ، ويطلب الآخرة بالتسويف ، والمنى ، يذكر الرجاء عند الذنوب فيطلب نفسه بالمقام عليها ، ويذكر العجر عند الطاعة ، حين هم بها ، فينزجر عنها ، ويظن أنه محسن بالله الظن ، وأنه يوثق به فى العفو ، ولم يضمن له ، ولايحسن الظن بالله ، ويثق به فى الرزق الذى ضمن له ، يضطرب قلبه ويشتغل بطلب رزقه .

وقد أمر بالطمأنينة فيه إلى ربه ، ويطمئن ، ويسكن ، عند ذكر الموت وقد ندب إلى أن يخافه ولايسكن عند الحذر والخوف ، من أجل رزقه

وقد ضمن له وأمنه الله من أن يفوته ما قدر له ، فما أمنه الله منه يخافه ، وما خوفه الله منه أمنه ، يفرح بما آتاه الله من الدنيا حتى ينسى بفرحه شكر ربه ، ويغتم بالمصائب حتى تشغله عن الرضا عن ربه إن نابته نائبة ، سبق إلى قلبه الفزع إلى العباد والاستعانة بهم .

يطلب من ربه الفرج ، إذا أيس من الفرج من قبل الخلق ، فإن طمع فى دنو إلى مخلوق نسى مولاه ، من اصطنع إليه معروفا ، غلب على قلبه حب المصطنع إليه ، وشغل قلبه بذكره ، وألزم قلبه حبه وشكره ، ناس فى جميع ذلك ربه ، يثقل عليه بذل القليل من ماله لمن لايكافىء عليه إلا ربه ويخفف عليه بذل الكثير لمن لايكافئه أو يؤمل منه منفعة فى دنياه يأثم فيمن أحب فيمدحه بالباطل ، ويعصى الله فيمن يبغضه فيذمه بالباطل .

يقطع بالظنون ، ويحقق بالتهم ، يكره ظلم من ينتصر لنفسه ، أو ينصره من العباد غيره ، ويخف عليه ظلم من لاناصر له سوى ربه ، يثقل عليه الذكر ، ويخف عليه فضول القول ، إن كان فى رخاء فرح ، ولها ، وأسى ، وطغى ، وبغى ، وإن زال عنه الرخاء ، شغل قلبه عن الواجبات ، وظن أن لا يفرح ، ولايمرح أبداً ، إن مرض سوف التوبة ، وأظهر الندامة ، وعاهد أن لايعود ، وإن وجد الراحة نقض العهد ، ورجع من قريب .

وإن خاف الله – كما يزعم – لم يرضه بما يكره الخلق ، يستعيذ بالله ، من شر من هو فوقه من العباد ، ولايعيذ من هو دونه من الخلق ، من شر نفسه ، شفاؤه فى إمضاء غيظه وإن كان مما يسخط ربه ، ينظر إلى

من فضل عليه فى الرزق فيستقل نعم ربه ، فلا يشكره ، ولاينظر إلى من هو دونه فى العيش ، فيشكر النعمة ، يتشاغل بالفضول عن الصلوات ، إلى آخر أوقاتها .

فإن صلى ، صلى لاهيا عن صلاته ، غير معظم لمولاه إذا قام بين يديه . إذا أطال أمامه الصلاة ملها ، وذمه ، وإن خففها اغتنم خفته ، وحمده ، قليل الدعاء ، ما لم تنزل به الشدائد والعلل ، فإن دعا فبقلب مشغول بالدنيا .

قال محمد بن الحسين : هذه الأخلاق وما يشبهها ، تغلب على قلب من لم ينتفع بالعلم . هو مقارن لهذه الأخلاق . إذ رغبت نفسه فى حب الترف ، والمنزلة ، وأحب مجالسة الملوك ، وأبناء الدنيا ، فأحب أن يشاركهم فيما هم فيه من راخى عيشهم : من منزل بهى ، ومركب هنى ، وخادم سرى ، ولباس لين ، وفراش ناعم ، وطعام شهى .

وأحب أن يغشى بابه ، ويسمع قوله ، ويطاع أمره ، فلم يقدر عليه إلا من جهة القضاء فطلبه ، ولم يمكنه إلا ببذل دينه فذل للملوك ، ولأتباعهم ، وخدمهم بنفسه ، وأكرمهم بماله ، وسكت عن قبيح مايظهر من مناكير على أبوابهم ، وفى منازلهم ، وقولهم ، وفعلهم ، ثم زين لهم كثيرا من قبيح فعالهم ، بتأويله الخطأ ، ليحسن موقعه عندهم .

فلما فعل هذا مدة طويلة ، واستحكم فيه الفساد ، وَلَّوه القضاء ، فذبحوه بغير سكين ، فصارت لهم عليه منة عظيمة ، ووجب عليه شكرهم ، فألزم نفسه ذلك لئلا يغضبهم عليه ، فيعزلوه عن القضاء ، ولم يلتفت إلى غضب مولاه الكريم . فاقتطع أموال اليتامى ، والأرامل ،

والفقراء ، والمساكين ، وأموال الوقوف على المجاهدين ، وأهل الشرف ، والمحرومين ، وأموال يعود نفعها على جميع المسلمين فأرضى بها الكاتب ، والحاجب ، والخادم ، فأكل الحرام ، وأطعم الحرام ، وكثر الداعى عليه . فالويل لمن أورثه عمله هذه الأخلاق .

هذا العالم الذى استعاذ منه النبى ﷺ وأمر أن يستعاذ منه .

هذا العالم الذى قال النبى ﷺ : « **إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنفَعْهُ عِلْمُهُ** » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا الفريابى ، أخبرنا قتيبة بن سعيد ، أخبرنا الليث بن سعد ، عن سعيد بن أبى سعيد ، عن أخيه عباد بن أبى سعيد ، سمع أبا هريرة يقول : كان رسول الله ﷺ يقول : « **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الأَرْبَعِ : مِنْ عِلْمٍ لاَيَنفَعُ ، وَمِنْ قَلْبٍ لاَيَخشَع ، وَمِنْ نَفسٍ لاَتَشْبَعُ ، وَمِنْ دُعَاءٍ لاَيُسْمَعُ** » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر بن أبى داود ، أخبرنا أحمد بن صالح المصرى ، أخبرنا عبد الله بن وهب ، أخبرنى أسامة بن زيد ، أن محمد بن المنكدر ، حدثه أنه سمع جابر بن عبد الله الأنصارى يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ عِلْماً نَافِعاً ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَيَنْفَعُ** » قال جابر : فأسرعت إلى أهلى . فقلت لهم : إنى سمعت رسول الله ﷺ يدعو بهؤلاء الكلمات فادعوا بهن .

والحمد لله وحده ، وصلى
الله على سيدنا محمد النبى الأمى
وعلى آله وصحبه أجمعين

الفهرس